

السيادة عند العربي قبل الاسلام

دراسة في طبيعة السلطة السياسية وأثرها على مجتمع الجزيرة العربية

أ.م.د. علي كسار غدير الغزالي
كلية التربية / جامعة كربلاء

الخلاصة

تشمل هذه الدراسة "السيادة عند العربي قبل الاسلام"، وبيان أثرها في تعزيز مكانته الاجتماعية بين القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية".
لقد اهتم العربي بالسيادة اهتماما كبيرا سواء كانت على قبيلته أو باقي القبائل العربية الأخرى، وبالتالي أدى ذلك إلى تعزيز مكانته الاجتماعية. فالسيادة عنده شيء عظيم فبذل الغالي والنفيس، حتى وإن نقصت ثروته، أو تعرض للخطر، أو تنازل عن جزء من هيئته في سبيل تحقيق السيادة.
لقد تركّز موضوع الدراسة على مفهوم السيادة لغة واصطلاحاً، وكذلك الصفات الواجب توفرها لنيل السيادة، سواء بالمال أو بالقوة والشجاعة، وعوامل تحقيق السيادة من خلال نسب الفرد الوراثي، أو من خلال اكتساب العلوم والمعارف، أو من خلال الاخلاق الحميدة. وقد شملت الدراسة أيضاً طرق وظروف وصول العربي للسيادة، منها الموت لسيد القبيلة الأول، والظهور بكمّارم الاخلاق، والتنافس بين الافراد، ورأي القبيلة في الشخص، وفرض القوة. وتناولت الدراسة الأمور التي تمنع تحقيق السيادة عند العربي، أي الأمور القبلية.
اعتمدت الدراسة على مجموعة مصادر عربية أصيلة ومراجع ثانوية حديثة منها الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني، السيرة النبوية لابن هشام، العقد الفريد لابن عبد ربه، لسان العرب لابن منظور، المفصل لجواد علي، اسواق العرب لسعيد الافغاني، دراسات في تاريخ العرب للسيد عبد العزيز سالم، فضلاً عن مجموعة دواوين شعرية.

المقدمة

يتناول هذا البحث (السيادة عند العربي قبل الإسلام /دراسة في طبيعة السلطة السياسية وأثرها على مجتمع الجزيرة العربية)، فمن الواضح ان القبائل التي سكنت منطقة الجزيرة العربية قد عرفت معنى السيادة؛ ولذلك حرص الفرد العربي قبل الإسلام بشكل كبير على تلك السيادة، خاصة بين الأفراد أو القبائل، كما انه بلغ جهداً كبيراً في أن تكون له مكانة مرموقة بين باقي القبائل العربية الأخرى، وبالتالي أدى الى تعزيز دوره ومكانته الاجتماعية آنذاك، فكل فرد أو قبيلة قد استخدموا كافة الوسائل للوصول الى تلك الغاية وهي السيادة، فالسيادة عنده شيء عظيم، ومن خلالها ينال الشرف والمجد بين قبيلته أو باقي القبائل الأخرى فنجد قد بذل الغالي والنفيس في سبيل انتزاع تلك السيادة، حتى وان نقصت ثروته، او تعرض للخطر، أو تنازل عن جزء من هيئته، في سبيل تحقيق تلك السيادة.

ان كل تلك السمات والصفات التي اتسم بها الفرد العربي قبل الإسلام من أجل تحقيق تلك السيادة، جعلت الباحث يختار تلك الدراسة الشاملة، وهي قلما أشار اليها الباحثون أو أغفلوا عن قسم منها، ولذلك اخترت هذا الموضوع للدراسة.

تطرقت هذه الدراسة الى مفهوم ومعنى السيادة قبل الإسلام لغة واصطلاحاً، فضلاً عن ايضاح السمات والصفات الواجب توفرها في السيادة عند العربي قبل الإسلام.

كما شملت الدراسة أيضاً عوامل تحقيق السيادة عند الفرد العربي قبل الإسلام، حيث تناولت تحقيق السيادة من خلال بذل الأموال والسخاء، ثم تحقيق السيادة من خلال فرض القوة الجسمانية والشجاعة، كذلك تحقيق السيادة من خلال نسب الفرد الوراثي، ثم تحقيق السيادة من خلال اكتساب العلوم والمعارف، ثم تحقيق السيادة من خلال التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة. وبعد ذلك أوضحت طرق وأساليب وظروف وصول الفرد العربي للسيادة قبل الإسلام، ومنها الموت المفاجئ أو العجز من السيد الأول، وكذلك الظهور بالمواعظ الحسنة أمام الناس، ثم التنافس فيما بين الأفراد للوصول إلى هذا المنصب، وكذلك تحقيق السيادة من خلال رأي أفراد القبيلة مباشرة بالشخص المطلوب تسويده، ثم تحقيقها من خلال طريق فرض القوة والقبول بالأمر الواقع. وأخيراً تطرقت إلى الأمور التي تمنع تحقيق السيادة عند الفرد العربي قبل الإسلام أي (الأمور المذمومة) التي لا يمكن قبولها في السيد.

أولاً: مفهوم ومعنى السيادة قبل الإسلام لغة واصطلاحاً:-

عرف الفرد العربي قبل الإسلام مفهوم ومعنى السيادة بصورة واسعة، حيث كانت كلمة سيد أكثر الألقاب استخداماً عند العرب قبل الإسلام، وعندما يكون ذلك السيد كبيراً في السن، أو قائداً لقبيلة ما، فكان أحياناً يوصف بـ: الشيخ أو الرئيس أو الأمير^(١).

كان يُعبر عن هؤلاء السادة والأشراف بتعابير التعظيم والتفخيم، ومن بين تلك الألفاظ القديمة التي أطلقت عليهم هي لفظة: (بعل) أو (أبعل) أي سيد ورئيس، وهي لفظة قد استعملت للآلهة كذلك، حيث استعملت بمعنى الرب أو الإله، حينما ورد اسم (ود-بعل) وكذلك (عشتر-بعل) وغيرهما، وقد استعملت تلك الكلمات في النصوص القديمة خاصة^(٢).

وفضلاً عن ذلك فيقال لهؤلاء السادة: (أسود) أو (أسود)، وهي لفظة شائعة بلغة جنوب الجزيرة العربية، والمقصود بهم السادة الأشراف، وتقابل تلك اللفظة لفظة (سادات) في لغتنا العربية، والمقصود بهم: سادة القوم وأشرافهم، وأصحاب المنزلة والمكانة في المجتمع^(٣).

يعد أعضاء الأسرة المالكة في طليعة هؤلاء (السادات)، وهم في درجة السيادة بحسب قربهم أو بُعدهم من الملك، وعلى هذا الأساس فإنهم يُقدّمون عند حضورهم إلى الملك، خاصة في المواسم الرسمية، وهؤلاء لهم أراض يقومون باستغلالها، ولهم رقيق يخدمهم^(٤).

ومما يلاحظ أن وجهاء القوم، ذوي المنزلة والمكانة الرفيعة في المجتمع، كان يُطلق على الواحد منهم: (كهثم) أو (كهث)، وبمعناها: الوضيع، والخال، والصغير، والحقير، فقد ورد في أحد النصوص هذه العبارة: (كل إنسم كهثم وقطم)^(٥)، ومعناها: كل إنسان كبير وصغير أو كل إنسان وجيه ووضيع.

أمّا فيما يخص لفظة: (القطين) التي تضم (قطم) و(قطن)، فهي في لغة المسند اليمنية القديمة تُطلق على الخدم والأتباع والإماء، كما في لغة القرآن الكريم، وكما أشار بعض العلماء إلى أن (القطين) هم اتباع الملك ومماليكه^(٦).

من خلال النظر إلى كلا اللفظين، نجد أنهما يحملان المعنى نفسه المراد من اللفظة في اللغة اليمنية القديمة، أي لغة المسند القديمة.

وفي مقابل السادة أهل المنزلة الرفيعة والوجاهة في المجتمع، هنالك أناس في مرتبة أدنى، هم من يطلق عليهم لفظ: (ص غ ر م) أو (صغرم) أي بمعنى الصغير، والمراد به سواء الناس، ممن لاوجاهة لهم، ولا مركز لهم لدى المجتمع والحكومة آنذاك، كما ورد في العبارة القديمة التالية (كبرم أو صغرم) ومعناها (كبير أو صغير).

وعلاوة على ذلك فإن هنالك أناس بدرجات عالية في المجتمع العربي القديم آنذاك، وهؤلاء يُطلق عليهم: (الأقوال)، وهم يمتلكون الأراضي الواسعة والسلطان، وقد يجد (القول) أو (القيل) في نفسه قوة ومنعة فينازع الملوك على ملكهم، ويصل في بعض الأحيان أن يأخذ الحكم بيده من الملك نفسه^(٧). نستنتج من خلال الألفاظ الواردة الذكر، سواء الألفاظ القديمة الواردة في النصوص القديمة أو الألفاظ العربية، بأن كلمة سيد تعني: الشخص ذي المنزلة الرفيعة في المجتمع، وتلك الألفاظ القديمة التي أطلقت على السيد هي نفسها قد أطلقت على رجال الدين آنذاك، إذن هي كلمة عظيمة الشأن بحق السيد المراد تعظيمه، فضلاً عن امتلاك البعض منهم للأراضي والأملاك الواسعة، على عكس الناس البسطاء الذين لا مكانة لهم في المجتمع آنذاك.

وعلاوة على ذلك فيقال للسيد (المسود)، حيث يذكر علماء اللغة، بأن السيد يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمحتمل أذى قومه، والزوج، والمقدم، والرئيس، حيث إن سيد القبيلة هو رئيسها، وتقول العرب: ((فلان سيدنا)) أي رئيسنا الذي نعظمه، ونقول: ساد قومه^(٨)، فهي من الألفاظ الشائعة المستعملة عند عرب الحجاز، ونجد، والعراق، وبلاد الشام، أما في العربية الجنوبية فقد أستخدمت ألفاظاً أخرى بدلاً عنها^(٩).

يبدو لنا أن لفظة السيد لها معان سامية، حينما كانت تُطلق على تلك الفئات من الناس ذوي المكانة المرموقة في المجتمع، فضلاً عن انتشار تلك الكلمة في معظم مناطق جزيرة العرب حينما كانت شائعة الاستعمال عندهم، فضلاً عن أنها تحمل أكثر من معنى في هذا الجانب.

ثانياً- السمات والصفات الواجب توفرها في السيادة عند العربي قبل الإسلام:-

يتصف سيد القوم عند العرب قبل الإسلام بسمات وصفات عدّة قد أهلتها لأن يكون سيد قومه وقبيلته، ومن بين تلك السمات هي: تحليه بالسجايا الطيبة التي جعلت الناس يعترفون بسيادته عليهم، منها تحمله أذى قومه؛ لذلك فقد قيل للسيد (محتمل أذى قومه)^(١٠).

ومن بين تلك السمات أيضاً، أن يكون شريفاً في أفعاله، حليماً كريماً، يغض نظره عن أعمال الحمقى، وأن يتجاهل السفلة والسفهاء الجاهلين، فلا يغضب، ولا يثور، وأن يكظم غيظه، حيث جاء في أحد الأمثال: (إحلم نَسْدُ)^(١١).

وفضلاً عن ذلك كان على السيد أن يحترم الناس مهما كانت منازلهم، وأن يؤلف بينهم، ويكتسب محبتهم، وأن يكون ملاذهم، وأن يجعل بيته بيتاً للجميع، ومضيفاً لكل من يفد إليه من كبير أو حقير أو صغير، وأن يفتح قلبه للجميع^(١٢).

وكان على السيد أن يتصف ببعض الصفات الخلقية الأخرى التي تُعد حيوية للمجتمع البدوي العربي آنذاك، وقد عددها الجاحظ، فقال: ((كان أهل الجاهلية لايسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال، السخاء والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان))^(١٣).

أجاب قيس بن عاصم لما سُئل كيف سؤدك قومك؟ فقال: ((ببذل الندى وكف الأذى، ونظرة المولى، وتعجيل القرى، وأني لأعفو عن سفيهم، وأحلم عن جاهلهم، وأسعى في حوائجهم، وأعطي سائلهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني، ومن قصر فأنا خير منه))^(١٤).

ومما يلاحظ أن هنالك أقوالاً كثيرة تمدح سخاء الرؤساء والسادة وبذلهم، خاصة في أوقات الشدة، وذلك أمر مهم في محيط البدوي الفقير والمعرض لعاديات الدهر، ونكبات الطبيعة، والبيان فضروري للإفصاح عن الرأي والإقناع، والإدارة في مجتمع ليس فيه سلطة الزامية، والحلم يتطلب من صاحبه الذكاء، والنصح، والنشاط، وهي ضرورية لمجتمع يشعر بفرديته المتطرفة، وينقاد لعواطفه العنيفة وليس للرئيس عليه سلطة قانونية أو عقاب^(١٥).

والحلم عند العرب من أهم الصفات أو السمات التي تؤهل الإنسان لحكم الناس، وهو عندهم: الأناة والعقل، وقيل ضبط النفس، والطبع عن هيجان الغضب^(١٦)، ومعالجة الأمور بهدوء وضبط أعصاب، وهي سياسة تلائم طبع الحكم، وقد عدّوه من خلال الحكماء^(١٧).

ومن بين الذين عُرفوا واشتهروا بالحلم: (الأحنف بن قيس) أيضاً، حتى ضربت العرب به الأمثال، حيث قالوا: هو أحلم من الأحنف، وكما نسب أهل الاخبار له حكماً وأمثالا كثيرة، فهي من الامثال التي ينسبونها في العادة الى الحكماء^(١٨).

ومن بين أمثلة حلمه التي ذكرت انه كان قاعداً يوماً بفناء داره مجتنباً بحمائل سيفه، يُحدّث قومه، حتى جاء بمكتوف ورجل مقتول، فقبل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فما قطع كلامه حتى انتهى، ثم كلم ابن أخيه وأنبه وعفا عنه، ثم قال لابن آخر له: ((وار أخاك وحل كتاف ابن عمك، وسبق إلى أمك مائة ناقة ذية ابنها فانها غريبة))^(١٩).

يبدو من خلال تلك الحادثة أن الحلم هو موضع الرجال، وهكذا هو حال الفرد العربي قبل الإسلام، فهو متصف بالصفات الخلقية الكثيرة، وهكذا الحال بالنسبة الى حلم سادات القبائل، وإن لم يكن كذلك، لأن تُحبّ قبيلته، وباقي القبائل الأخرى، بالرغم من وجود العادات السلبية المنتشرة آنذاك.

ونتيجة لما كان يتمتع به السيد المراد تنصيبه من صفات وسمات تؤهله لأن يكون سيد قومه، فقد ذكر الجاحظ في موضع آخر من خلال كتاب شرائع المروءة قائلاً: ((ان العرب كانت تسود على أشياء، أما مضر فتسود ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام، وأما اليمن فعلى النسب))^(٢٠).

من خلال نص الجاحظ هذا نستنتج بأن كل منطقة من مناطق الجزيرة العربية أو كل قبيلة، لا تسود ذلك الشخص عليها إلا بصفة معينة في تلك المنطقة، أو تلك القبيلة التي تشتهر أو تختص بها، بالرغم من ان كافة الصفات الأخرى هي متوفرة في كل منطقة من مناطقها، لكن تلك الصفة تميزها عن غيرها.

أما فيما يخص وقت الشدائد والحروب فكان على السيد أن يكون في مقدمة القوم في تلك الحروب والغزوات، وان يكون شجاعاً لايهاب الموت، حتى يكسب النصر لنفسه ولقومه، وعليه أن يكون قائداً لقبيلته وواضعاً لخطط الحرب؛ لأنه رمز القبيلة، ورمز النصر، وباعث الهمم في نفوس أبنائه، وهو أب القبيلة، وأن يكون قدوة لأبنائه في ساعات الشدة والخطر، فيثير همم أبناء القبائل، حيث لا يثير القبائل الا الشعارات والنخوة وإلهاب المشاعر، حتى تندفع اندفاعاً في القتال، وسيد القبيلة هو روح القبيلة وشعارها فاذا أصيب بمكروه أو جبن في القتال، وإذا خرّ صريعاً في المعركة، هربت قبيلته في الغالب، الا اذا وجد في القبيلة من يوجب فيها نار الحماسة ويبث فيها العزيمة للثبات والصمود^(٢١).

يبدو لنا ان سيد القبيلة أو رئيسها كان ذا تأثير كبير في الحروب؛ للتأثير على معنويات المقاتلين من أبناء قبيلته، لأن الفرسان في المعارك ينظرون الى سادات القبائل الأخرى ورؤسائها، لأنهم ان تمكنوا من السيد او رئيس القبيلة وقتلوه، فقد غلبوا عدّوهم وقضوا عليه، فهو إذن يمثل الروح المعنوية عند القبيلة.

ولابد من الإشارة هنا الى أن منصب سيد القبيلة يعتمد على الأشخاص من ذوي الحسب والنسب والشرف، ومثل هذا الشرف لا يتوقف على فعال الخير فقط، بل على نقاوة الدم أيضاً، وعلى هذا الأساس لانتم الرئاسة أو السيادة الا للصليبية، وهم أبناء القبائل الأصلاء، أما الموالي والخلاء فلا مجال لهم للحصول على تلك السيادة^(٢٢).

وفضلاً عما ذكر من السمات التي يجب ان يتسم بها سيد القبيلة، عليه أن يكون عادلاً في تقسيم الغنيمة بين المقاتلين، وله فيها حقوق وامتيازات، وقد أوردها عبد الله الضبي في قوله في البيت التالي: لك المر باع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول^(٢٣)

ومما يلاحظ ايضاً ان على الرئيس أو السيد الناجح أن يكون ذكياً فطناً، له القدرة والقابلية للتصرف بذكاء وحذر، فيعرف كيف يتعامل مع كل شخص يأتي اليه، بحلم وصبر وأناة، وقساوة وغلظة أحياناً من أجل اخافة أتباعه، على أن لا يظلم ولا يمعن في غيّه فيقع له ما وقع لكليب بن وائل الذي تعسف في حكمه وتجبر، حينما اختار خيرة الأراضي الخصبة، فجعلها حمى له، لا يحق لأحد الرعي بها، إلا بأذن منه، فأزعج عمله هذا من خضع لحكمه، فكانت عاقبته القتل^(٢٤).

ومن بين الأعراف السائدة عند القبائل العربية قبل الإسلام، أن يستمد سيد القبيلة رأيه من رأي أشراف قبيلته ووجوهها خصوصاً في الأمور المهمة التي تخص حياة القبيلة ليستشير برأيهم، ومعرفة رأي أتباعه في معالجاتها؛ لأن تلك المشورة تساعد سادات القبائل وتمكنهم من إدارة حسنة ترضي الغالبية، فيصل السيد الى النجاح والنصر في الغزو، ويرتفع اسمه ويعلو نجمه^(٢٥).

يبدو أن الاستماع الى رأي الآخرين والمشورة، هما من عوامل النجاح لسادات القبائل، حيث ما زال - في وقتنا الحاضر - سادات القبائل يستمعون الى مشورة الآخرين، وقيمون لها وزناً، ورأيهم هذا هو مجرد مشورة ونصح، كما أنه لا يجب على رئيس القبيلة أو سيدها العمل بموجبه، فقد ينبذه ويعمل بقراره ورأيه، اذا كان قوي الشخصية متجبراً عنيفاً، وقد يكون النجاح حليفه، فيزداد هيبة على أتباعه، أو قد يُمنى بخسارة فادحة، تقضي عليه وعلى حياته أيضاً، ولنا امثلة كثيرة من تاريخنا في هذا الجانب.

كما نستنتج من كل ما سبق بان تلك الصفات والسمات والخصال الجيدة التي ذكرت عند سادات القبائل كانت السبب في نجاحهم، واحترام قومهم وقبائلهم ومجتمعهم لهم، وهكذا كان حال الفرد السيد العربي قبل الإسلام، وان لم تتوفر تلك السمات والصفات في هذا الشخص المراد جعله سيداً على قومه، فلا يسود؛ لأن السيادة واجب أخلاقي على الفرد تحملها كونه قدوة لغيره، لا أن يكون سلبياً في تصرفاته وأفعاله؛ لأن ذلك ينعكس على قبيلته، ومكانتها بين القبائل العربية الأخرى.

ثالثاً: عوامل تحقيق السيادة عند الفرد العربي قبل الإسلام

حرص الفرد العربي بشكل واسع على أن تكون له مكانة وسمعة مرموقة في مجتمعه وبين قبيلته وأهله قبل الإسلام، حيث سعى الكثير منهم لتحقيق ذلك المجد والشرف وهو السيادة، فمنهم من أخذها بعامل دون سواه، ومنهم من أخذها بعوامل عدّة للوصول الى تلك الغاية وهي: (السيادة)؛ وذلك من أجل نيل المجد والشرف، ولا يتم هذا إلا اذا أعلن سيداً على قومه وقبيلته، وقد سعى الفرد العربي ببذل الغالي والنفيس لتحقيق ذلك، حتى وان نقصت ثروته أو المخاطرة بنفسه، أو تنازل عن جزء من هيئته، وقد أشار الشاعر الهذلي الى نيل شرف تلك السيادة، قائلاً:

وإن سيادة الأقبوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل⁽²⁶⁾

كما أشار الشاعر أنس بن مدركة الخثعي الى نيل السيادة، قائلاً:

عزمت على إقامة ذي صباح لأمر ما يسود من يسود⁽²⁷⁾

ولابد لنا أن نعرف كيف كان الفرد العربي يسود على قومه، من خلال هذه العوامل التي أجملت بخمسة وهي:

١ - تحقيق السيادة من خلال بذل الأموال والسخاء

يُعد عامل تحقيق السيادة بالمال من بين أهم العوامل التي تلزم الشخص حتى يصبح سيد قومه، وهذا العامل كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام، خاصة في منطقة الجزيرة العربية، ولذلك المال كثير التردد على ألسنة العرب، من شاعرها وخطيبها، ومن أشهر الذين دعوا الى الحصول على المال،

وربط وجوده بعزة الشخص وسيادته وكرامته وهيئته، هو الشاعر عروة بن الورد، حينما قال في تلك الأبيات^(٢٨):

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَانِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
يُبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِائِلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالُ يَكَادُ فُؤَادَ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلُ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبُّ غَفُورُ

ويبدو أن حالة الفقر عند الفرد العربي قبل الإسلام قد أثرت حتى على أسرته وزوجته، وأولاده، كما وصف الشاعر بأن شر الناس هم الفقراء وليس الأغنياء، وتلك سمة سائدة عند عرب الجزيرة ومنتشرة بين قبائلها بكثرة.

وذكر البعض أن المال يُقدّم أحياناً حتى على النسب؛ لأهمية صاحب الثروة آنذاك، وهذا الشاعر أوس بن حجر يؤيد ذلك في قوله^(٢٩):

وَأَتِي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خِفَافُ الْعُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلاً
بَيْنَ أَمْ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدُ الْقَوْمِ جَحْلاً
وَهُمْ لِمَقْلٍ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخَولاً

من خلال تلك الأبيات الشعرية يبدو لنا أن صاحب المال حتى وإن كان عبداً، يصبح سيداً مقدماً على قومه.

أما الشاعر أسيمة بن الجلاح فראية متقارب ومشابه لمن سبقه بتقديم المال على النسب، من خلال هذه الأبيات الشعرية، قائلاً^(٣٠):

إِسْتَعْنِ أَوْ مُتْ وَلَا يَغْرُرْكَ ذُو نَسَبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
يَلُوبُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقٍّ أَقْرَبَهُمْ وَعَنْ صَدِيقِهِمُوا وَالْمَالُ بِالْوَالِي
كُلَّ النِّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْذُلْنِي إِلَّا نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

من خلال تلك الأبيات الشعرية، يبدو لنا أن صاحب المال مقدّم حتى على ابن العم والخال وهم أقرب الناس إلى الفرد العربي، فالمال عندهم كان أهم شيء في الوجود، فحسب ظن الشاعر أنه ما فائدة الخال أو ابن العم إن لم يمتلك المال.

وهذا الشاعر الهذلي أبو فراس خويلد بن مرة، وهو أحد الشعراء المخضرمين، يقدم المال على القوة والبهاء إذ يقول^(٣١):

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُثْنِي عَلَيْهِمْ إِذَا شَـبَعُوا وَأَوْجَهُهُمْ قَبَاحُ
يَظِلُّ الْمُصْرَمُونَ لَهُمْ سَجُوداً وَلَوْ لَمْ يُسَقِّ عَنْدهُمْ صَبَاحُ

يتضح من قول الشاعر أن ذوي الوجوه القبيحة الأغنياء أصحاب الأموال، يظل الفقراء يعاشرونهم ويمدحونهم بمرور الوقت لحاجتهم اليهم.

وذكر لنا الشاعر حسان بن ثابت أن بعض الناس يقدم صاحب المال على صاحب الخلق والحلم ، فيقول في هذا البيت^(٣٢):

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ وَجَهْلٌ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وفضلاً عن ذلك فقد نصح بعض الشعراء، الناس بأن يطلبوا المال حتى ينالوا الرفعة والهيبة

والشرف والمقام والسيادة، فهذا الشاعر النمر بن تواب يذكر ذلك النصح بقوله^(٣٣):

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تَصِيبَ رَغِيْبَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيْحٌ

فَالْمَالُ فِيْهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيْهِ مَذَلَّةٌ وَخَضُوْعٌ

يبدو من خلال هذين البيتين أن الشاعر لايفضل حتى الجلوس مع النساء ومجالس اللهو، بل

على الفرد أن يسعى لكسب المال ويترك الفقر لأن فيه مذلة، وينصحه بأن يركب عاديّات الزمن حول المال كي يصبح غنياً.

والرجل اذا كان صاحب ثروة ومال، وأراد أن يظهر مكانته الاجتماعية بين الناس، فانه يلجأ

لبذل ماله أمام قومه، واذا كان ذا ثروة طائلة، بذل تلك الثروة والمال خارج قومه أيضاً، وكان الأغنياء

يُظهرون كرمهم أمام بعضهم البعض، حتى ان الأكثر قدرة على الجود والكرم يغلب منافسيه أمام

الناس، ولنا في ذلك أمثلة منها: أن أمية بن أبي الصلت قد مدح عبد المدان بن الديان بسبب كرمه،

وذلك لبذله أطيب الطعام، بحيث فضله على عبد الله ابن جدعان في الكرم، مما عمد الأخير ان يجلب

من يتقن فنون الطعام وصنعه للناس، خاصة صناعة الفالودج^(٣٤)، الذي كان يصنعه عبد المدان؛ لذلك

فقد مدحه أمية بعد أن هجاه، قائلاً^(٣٥):

لِكُلِّ قَبِيْلَةٍ هَادٍ وَرَأْسٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ تُقَدِّمُ كُلَّ هَادِي

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشَمَّعٌ وَأَخْرَقَ قَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِي

إِلَى رَدْحٍ مِنَ الشَّيْزِيِّ مَالاً لُبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ

عَلَى الْخَيْرِ ابْنُ جَدْعَانَ بَنُ عَمْرٍو طَوِيْلُ السَّيْمِكِ مُرْتَقِعُ الْعِمَادِ

من خلال تلك الأبيات يبدو لنا أن من يقدم أطايب الطعام للناس هو المفضل بالجود والكرم،

وبالرغم من ان عبد الله بن جدعان كان مشهوراً بالكرم، لكن هناك من تغلب عليه في هذا الجود

والكرم، وهو عبد المدان بن الديان؛ والدليل على ذلك مدح أمية بن أبي الصلت له بدلاً من ابن جدعان.

وفي موضع آخر يقول حاتم الطائي^(٣٦):

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا

من ذلك يتضح لنا بأن حاتم الطائي لا يبالي بالمال حتى وان نفذ ماله، من أجل صفة الكرم، ولولا تلك الصفة لما وصل الى تلك المكانة الرفيعة في مجتمعه. ولقد كان من بين شروط العرب على من يطلب السيادة، أن يكون ذا مال كثير، غنياً وكريماً، وقد قال أحد الشعراء في ذلك^(٣٧):

إِذَا الْمَرْءُ أَتَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا السَّيِّدُ الْمَفْضَى إِلَيْهِ أَلْمَعْمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوْا أَنْ يَسْوُدَّهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

من خلال ذلك نستنتج ان الذي لا يكون كريماً ولا يعطي المال لقومه، لايسود عليهم حتى وان قال أنا السيد عليكم، وفضلاً عن ذلك فقد كانت الناس تفضل الكريم على البخيل، وقد وصف لنا الشاعر طرفة ذلك الموقف في هذا البيت الشعري، قائلاً^(٣٨):

وَيَظْهَرُ عَيْبُ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بِخُلْهِ وَيَسْتَرُّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤُهُ
إِنْ حَالَةَ السَّخَاءِ تَسْتَرُّ عَلَى عَيُوبِ النَّاسِ، مِنْ خِلَالِ كَرَمِهِمْ مِمَّا يَجْذِبُ النَّاسَ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِإِجَابِيَّةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ السَّلْبِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِمْ. ومما يلاحظ أن البعض من الأغنياء قد سعوا إلى تحقيق السيادة دون شرط العمر؛ لأن أموالهم وثرواتهم قد غلبت على باقي الأمور الأخرى، خاصة اذا أنفقوا تلك الأموال على أصحابهم، وقد وصف لنا الشاعر المعلوط السعدي ذلك الموقف، بقوله^(٣٩):

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ السِّيَادَةُ نَاشِئاً فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ بَعِيدُ
وَكَانَ رَأْيُنَا مِنْ غَنِيِّ مُذْمُومٍ وَصُعْلُوكُ قَوْمٍ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدُ
وقال أيضاً^(٤٠):

وَمَا سُودَ الْمَالِ الدَّنِيءِ وَلَا دَنَا لَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسُودُ
إن المال تصبح به سياسة الأقوام وسيادتهم، وضمان بقائهم، ولنا مثال في ذلك انه عندما توج الملك النعمان بن المنذر، ودخل عليه الناس يؤيدونه ويهنئونه، قام أعرابي فأنشد قائلاً^(٤١):

إِذَا سِمْتَ قَوْمًا فَاجْعَلِ الْجُودَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ تَأْمَنَ كُلُّ مَا تَتَخَوَّفُ
فَإِنْ كُشِفَتْ عِنْدَ الْمُلَمَّاتِ عَوْرَةُ كَفَاكَ لِبَاسُ الْجُودِ مَا يَتَكَشَفُ

يبدو أن كلام الأعرابي فيه نُصح للملك النعمان ملك المناذرة، بأن يجود بكرمه، فإن فعل ذلك أمِنَ كل ما يتخوف منه حتى يصبح أتباعه ومساندوه كثيرون، يقفون الى جانبه في الملّمات الصعبة والظروف العسيرة.

وفضلاً عن ذلك فقد أشار طرفة بن العبد، بان المال يصبح ذو حدين، فاذا كان الشخص غنياً، وام يعطي منه، حتى وإن لم يطلب السيادة، فانه قد يفضحه بين الناس، ويصبح عرضةً لألسنتهم، أما إذا كان سَخياً وأعطى المال رغبة منه بالسيادة، حتى وإن لم يطلبها، فان قومه يقدمونه، ويرغبون أن

يكون سيدهم؛ لذلك فقد جعل العرب أفضل عمل للشخص هو ما يكسب حمد الناس وثنائهم لذلك، وقد أشار طرفة الى ذلك قائلاً^(٤٢):

لَوْ تَرَّ أَنَّ الْمَالَ يُكْسِبُ أَهْلَهُ فُضُوحاً إِذَا لَمْ يُعْطِ مِنْهُ نَوَاسِبُهُ
أَرَى كُلَّ مَالٍ لَا مَحَالَةَ ذَاهِباً وَأَفْضَلُهُ مَا وَرَثَ الْحَمْدُ كَاسِبُهُ

ولنا أمثلة واضحة وكثيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام، خاصة في منطقة الجزيرة العربية، ومن بين هؤلاء الأكثر شهرة هو حاتم الطائي، حينما بذل الاموال بسخاء وكرم، وبذلك استحق السيادة فعلاً وقال^(٤٣):

أَلَمْ تَرَ مَا أَفْنَيْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّتِي وَأَنْ يَدِي مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صِفْرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
غَنِينَا زَمَاناً بِالتَّصْعُوكِ وَالْغِنَى وَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغِيّاً عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

يتضح لنا في هذه الأبيات أن حاتم الطائي لا يُبالي بالمال، ويؤكد أن المال يأتي ويذهب ولا يبقى الا الذكر الطيب من خلال بذل تلك الاموال، ومن خلال الجود والكرم. وأكدت القبائل العربية ضرورة نيل السمعة الطيبة، حتى ينال الغني المجد والسيادة، يقول الغنوي في ذلك^(٤٤):

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَهْلَكُمْ فَتَحَدَّثُوا إِنَّ الْحَدِيثَ مُهَالِكٌ وَخُلُودُ

ولذلك فقد قدر هرم بن سنان مدح زهير بن أبي سلمى له، فحلف وأقسم ان يعطيه اذا مدحه، أو سألته، وحتى ان سلم عليه بدون مدح^(٤٥).

ولكن مما يلاحظ انه ليس كل (شخص) من أعطى المال نال ما يطلبه من عطائه، فنجد ان قسماً منهم أعطى المال ولكن لم يُمدح، حتى أن بعضهم قد أنكر الفضل عليه، وفي هذا الصدد قال عنترة^(٤٦):

تَبَيَّنْتُ بِشَرٍّ غَيْرُ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفَرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ

وعلى هذا الاساس نرى بأن الأغنياء قد مالوا، الى اعطاء المال بمقدار كبير، حتى ينالوا الرفعة والمجد، ويصبحوا من عداد السادة، ولذلك فقد ساد عبد الله بن جدعان بسبب ثرائه وعطائه وكرمه من هذا المال، حيث لم يعرف هذا عنه فقط داخل قومه، بل تجاوز صيته الى باقي القبائل العربية الأخرى، حتى ان العرب كانوا يأتمنون على متاعهم طوال وجودهم في عكاظ، وحتى سلاحهم، لما عرف عنه من السمعة الطيبة ولذلك يأمنه العربي الغريب حتى على حياته^(٤٧).

وفضلاً عما ذُكرَ لنا أمثلة عدة في هذا الجانب، فقد مدح عطارد بن حاجب قومه تميم خطيباً، بحيث أشار الى أنهم أصبحوا ملوكاً بسبب ثرائهم ومالهم العظيم الذي كانوا يعملون به المعروف، وما

كانت تجود به أنفسهم على غيرهم، فقال (الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً ووهبَ لنا أموالاً عظيماً، نفعل فيها المعروف...) (٤٨).

كما كان لأبي سفيان الرؤساء التي عرفت ب:العقاب؛ لأنه كان تاجراً ثرياً بحيث كان يُجهز التجار بماله لكي يتاجروا به (٤٩).

وفضلاً عن ذلك كان أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله من التجار الأثرياء، بحيث ان قريش إذا أرادت كسوة الكعبة ترادفَ في كسوتها بينها وبين باقي القبائل العربية الأخرى، وتحملُ على نفسها المؤن الكثيرة لضخامة المبلغ، فقام لهم أبو ربيعة يطلب المجد قائلاً: ((أنا أكسو وحدي الكعبة سنة، وجميع قريش سنة، فبقي على وعده حتى وفاته، وقد سمته قريش: العدل؛ لأنه عدل بفعله فعل قريش، وكما سُمي أبناءه بعده: بنو العدل)) (٥٠).

ومن الذين بلغوا درجة الثراء بالأموال: هاشم بن عبد مناف، فقد استطاع تحقيق إيلاف قريش، وكانت ثروته عظيمة، بحيث أن النجاشي وقيصر عندما كان يدخل عليهم هاشم يستقبلونه استقبال السادة الأشراف (٥١).

وعلى الرغم مما ذكر عن هؤلاء الأشخاص وامتلاكهم للأموال التي جعلت منهم سادة في قبائلهم، نجد أن السيادة أيضاً قد أصبحت عند أناس لا يمتلكون المال لكن تلك الحالات نادرة، ومن بين الذين سؤدوا وهم لا يمتلكون المال: عتبة بن ربيعة، حيث سؤد وهو لا يجد قوت قومه، ولم يشبع حتى مات (٥٢).

من كل ذلك نستنتج أن المال والثروة لهما دور كبير، وهما عاملان مهمان من عوامل تحقيق السيادة، فضلاً عن صفة الكرم في الشخص الذي يمتلك تلك الأموال، حتى نجد أن حالة التنافس في الجود والكرم واضحة عند السادة ولنا أمثلة كثيرة في هذا الجانب؛ وذلك من أجل؛ كسب ود الأشخاص داخل القبيلة والقبائل الأخرى، حتى أن الشعراء كانوا يمدحون الأكثر ثراءً في الجود والكرم، وتلك صفة جيدة من صفات العرب قبل الإسلام، فقلماً نجد شخصاً يمتلك الأموال ولا يوجد بها على أصحابه وأفراد قبيلته، وان عمل على مساعدة الآخرين، وقفت معه قبيلته في سائر الملمات والصعاب التي يواجهها.

٢- تحقيق السيادة من خلال فرض القوة الجسمانية والشجاعة:

سعت القبائل العربية قبل الإسلام الى امتلاك القوة سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، وكان هدف البعض منهم حماية قومه وأفراد قبيلته، في حين سعى آخرون الى طلب السيادة والمجد والرفعة والعلا به، وكانت القبائل العربية سريعة التفكك تجاه طبيعة الحياة، فالمرعى لا يحتمل ولايسع الأعداد الكبيرة إلا في المجتمعات المدنية التي كانت تمثلها بعض المناطق الزراعية، فضلاً عن انهم كانوا يخشون من خلال الإستقرار الزراعي، أن يكونوا عرضةً للسلب والنهب، ودفع الجزية التي كانت مفروضة على هؤلاء المزارعين، وذلك ما تأباه القبائل العربية (٥٣)، لذلك فقد كان الميل للأسلوب القبلي كنظام أساسي

للحياة آنذاك، ومن أهم متطلباته: الفروسية والشجاعة، حيث لم تشتهر القبائل العربية بكثرة هؤلاء الفرسان وحسب، وإنما يكفي الفارس الواحد حتى تشتهر وتفتخر قبيلته به. والملاحظ أن أشد أنواع الصراع على السيادة هو الفروسية والشجاعة، حيث كانت القبيلة الواحدة تضم فرسان عدة، وهؤلاء يميلون للنزاع فيما بينهم لانتزاع تلك السيادة، ولكن لم يكن في القبائل العربية من وصل عدد فرسانه إلى الألف، إلا ثلاث قبائل هي: قبيلة مرة وقبيلة بنو الحارث بن كعب، وقبيلة عبس^(٥٤)، لذلك فقد برز ونبع عنتر بن شداد في قبيلة عبس؛ لأنه كان شديد البأس والقوة، حتى اقتدى به ألف فارس من عشيرته^(٥٥).

لقد كانت الفروسية والقوة والشجاعة مقدمة عند العرب قبل الإسلام، حتى فضّلت أحياناً على المال ومظاهر الديانة وما تحويه من قدسية، فعندما نزل قيس بن زهير العبسي في مكة، وكان رجلاً شجاعاً فخوراً مهاباً، عمد أهل مكة للتفاخر أمامه ليغلبوه، فقال لهم: ((نحوّ اكعبتكم عنا وحرّمكم، وهاتوا ما شئتم))، معرضاً بهم، وكأن أهل مكة لم يردوا مكرمة غيرها، فتحدّوه ان يأتي بخير من ذلك، فأنشد فيهم قائلاً^(٥٦):

يَكْعَبُ تَكْمُ وَبِالْبَلَدِ الْحَرَامِ تَفَاخَرُنِي مَعَاشِرُ مِنْ قُرَيْشٍ
فَأَكْرَمُ بِالَّذِي فَخَرُوا وَلَكِنْ مَغَازِي الْخَيْلِ دَامِيَّةَ الْكَلَامِ
وَطَعْنٌ فِي الْعُجَابَةِ كُلِّ يَوْمٍ لَخَوْرُ الْخَيْلِ بِالْأَسْلِ الدَّوَامِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْشِ رَخِيٍّ مَعَ الْقَرَشِيِّ حَرْبٌ أَوْ هُشَامِ
وَمَا عَيْشُ ابْنِ جَدْعَانَ بَعَيْشٍ يَجْرُ الْخِزُّ فِي الْبَلَدِ التُّهَامِ

نستنتج من هذه الأبيات الشعرية نجد أن قيس بن زهير تفاخر بقوته أمام المكيين وأكد أن الشجاعة والفروسية وركوب الخيل والطعن والدماء، أحب إليه من العيش في الرخاء، فهو لا يقارن نفسه مع ابن جدعان أو هشام أو غيرهما، الذين لهم دور في مكة بل يعد نفسه أفضل منهم، من خلال قوته، فهو يحاول فرض السيادة بالقوة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل العربية قبل الإسلام، كانت تُقدّم الفروسية على المال والجاه وساكني المدن، وكان أمراً ضرورياً لنيل السيادة أن يكون قوياً، أو هنالك قوة أخرى أقوى منه قد تمنعه من نيل السيادة، وفي هذا الصدد قال أبو سلمى^(٥٧):

لَا بُدَّ لِلسُّوْدَدِ مِنْ رِمَاحٍ وَمِنْ سَافِيهِ دَائِمُ النِّبَاحِ
وَمِنْ عَدِيدٍ يَتَّقِي بِالرَّاحِ

وفي موضع آخر ذكر عامر بن الطفيل من بني عامر، أن سبب تسويده، هو نيل قبيلته (السيادة) بيده، وبما يتمتع به من قوة؛ لأنه كان فارساً شجاعاً مُهاباً، ولم يرث السيادة عن أبيه أو أمه، حيث أنشد قائلاً^(٥٨):

وَأَتِي وَإِنْ كُنْتُ أَبْنُ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفَارُسُهَا الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ مَوْكَبٍ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ مِنْ وَرَاثَةٍ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُوَ بِأَمٍّ وَلَا أَبٍ
وَلَكِنِّي أَحْمِي جِمَاهَا وَأَتَّقِي أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبٍ
هنا الشاعر الفارس تفاخرَ كونه شجاعاً، وقد أخذ السيادة ليس من وراثة أب ولا أم، ولكن بالقوة والفروسية والشجاعة، وجعل نفسه حامي حمى العشيرة والقبيلة، بالتصدي لكل من يعتدي عليها، فهو إذن قد أخذ السيادة بقوته.

وفضلاً عن ذلك فقد قُدِّمَ لقيط بن زرارة الدارمي الفارس الشجاع على غيره لسيادة قومه، وأكد ضرورة أن يكون سيد القوم شاباً فوق سن الحداثة، ودون الشيخوخة، كما اشترط أن يكون لديه علم ودراية في الحرب، حتى يستطيع الدفاع عن قبيلته وقومه، يقول لقيط^(٥٩):

فَقُلُّدُوا أَمْرَكُمْ إِلَهَ دَرْكُم رَحْبُ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لَا مُتْرَفَاً إِنَّ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهُ بِهِ خُشَعَا
مَا زَالَ يَحْلِبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ يَكُونُ مُتْبِعاً يَوْمًا وَمُتَبِعَا
حَتَّى آسَتَمَرْتُ عَلَى شَزْرِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكَمُ السِّنِّ لَاقِمَحاً وَلَا ضُرْعَا
نستنتج من هذه الأبيات الشعرية أن الوراثة في تحقيق السيادة لها عواقب وخيمة، كما أكد أن السيد المُتْرَف في العيش يكون قليل التجربة في الحكم، والذي لم تؤثر به بعد عادات الزمان وملماتها، يفقد توازنه أمام أي طارئ قد يصيبه ويصيب قومه، ويؤدي بالتالي لإهلاك قومه وقبيلته.

وتجدر الإشارة إلى أن القوة لم تكن مرتبطة بضخامة الجسم وقوة البدن فقط، وإنما تشمل قوة البأس، وصبر الرجال وعنفوانهم أمام الأزمات والملمات الصعبة، وفي هذا الصدد يقول العباس بن مرداس^(٦٠):

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مُزِيرٌ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرَ
فَمَا عَظُمَ الرَّجَالُ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخَرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
أراد الشاعر هنا أن يذكر بأنه ليس كل رجل نحيف عديم القوة، وعديم الصفات الجيدة، فقد يمتلك صفات الفخر والكرم والخير وغيرها.

ولنا مثال آخر متمثل في شخصية أوفى بن مؤلة، فقد كان قصيراً ونحيفاً، لكنه كان سيداً شريفاً، وكان لا يخفي على أحد سبب توليه السيادة، فقال عن نفسه هذا البيت الشعري^(٦١):

إِنْ أَكُّ قَصْدًا فِي الرِّجَالِ فَإِنِّي إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَجَسِيمٌ
هنا تأكيد من قبل شخصية (أوفى) بأنه أهلٌ للملمات الصعبة على الرغم من نحافة جسمه، وهناك شخصية أخرى متمثلة بـ(هودة بن علي بن ثمامة) الذي أصبح سيداً على قومه، وعلى غيرهم بالقوة التي استمدها من قوة كسرى الذي ألبسه الفلنسوة^(٦٢)، وجعله سيداً على نجران^(٦٣)، وفي ذلك يقول الأعشى^(٦٤):

مَنْ يَرْهُوْدَةً أَوْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهِ يَكُنْ لِهَوْدَةٍ فِيمَا نَابُهُ تَبَعًا
تَلْقَى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً كُلُّ سَيْرِضَى بَأْنٍ يَرَعَى لَهُ تَبَعًا
وتقديراً من القبائل العربية في الجزيرة لهؤلاء السادة الأقوياء، كانوا يذكرونهم حتى بعد موتهم، فبعد موت ربيعة بن مكرم، بقي العرب ينحرون على قبره، اقراراً له بشجاعته وقوته، ولم يكن ذلك لأحد غيره من باقي الفرسان^(٦٥)، وكذلك الحال عند موت عامر بن الطفيل، فقد أقام قومه على قبره أنصاباً لحماية قبره، حتى لا يمر بها فارس ولا راكب ميل بميل، وذلك تقديراً لشجاعته وقيادة قومه للعز والعلا لمدة طويلة جداً^(٦٦).

من كل ما ذكر نستنتج أن القوة الجسمانية كان لها دور كبير في تحقيق السيادة، فطبيعة القبائل العربية قبل الإسلام، كانت تهاب القوة والشجاعة للفارس القوي الشجاع، ولنا أمثلة كثيرة من تاريخنا في هذا الجانب، فالشخص الشجاع هو الذي يفرض نفسه بقوته وحكمته ودرايته؛ لأن أفراد القبيلة يجدون في الشخص السيد القوي ملاذهم والمدافع عنهم؛ على الرغم من الحالات القليلة التي سؤد بها البعض دون اللجوء الى القوة، إذن القوة كانت واحدة من بين العوامل الرئيسة لتحقيق تلك السيادة سواء أكانت على قبيلته، أم على باقي القبائل الأخرى آنذاك.

٣- تحقيق السيادة من خلال نسب الفرد الوراثي:

ارتبط موضوع تحقيق السيادة بالنسب بالوراثة، أي أن السيادة تنتقل من الأب لابنه دون أي اعتبار لباقي العوامل الأخرى، ولنا أمثلة كثيرة عند العرب قبل الإسلام في هذا الجانب، خاصة عرب الجزيرة، ومن أمثلة ذلك أن قصي بن كلاب قد أحب ابنه عبد الدار، ولمّا كان والداه: عبد مناف وعبد العزى أكثر قدرةً على المكارم، فإنهما قد شَرِّقا على باقي الناس؛ ولذلك قرر قصي أن يلحق عبد الدار بهما، وأن يشرفه حتى يعلوهما في المكانة والمهابة، لأنه جمع كل مكارم قريش من سقاية ورفادة ودار ندوة وغيرها بيده، كما أعطاه الحجابة واللواء، حتى سؤده عليهم^(٦٧).

ومن بين الذين اشتهروا بوراثة الملك وتحقيق السيادة: بنو معاوية بن كندة، وقد ذكرهم الهمداني قائلاً: ((ان السيادة بقيت فيهم سبعين أب أولهم ثور ومرتع ابنا عمرو وآخرهم الأشعث بن قيس))^(٦٨).

وفي هذا الصدد أنشد امرؤ القيس، قائلاً^(٦٩):

وَكِنْدَةُ قَوْمِي مُلُوكُ الْبِلَادِ فَإِنِّي إِلَيْهِمْ إِذَا مَا انْتَمَيْتُ
كَرَامُ الْمَغَازِي حِسَانُ الْوُجُوهِ فَلَنْ يَفْضَحُونِي إِذَا مَا اعْتَزَيْتُ

من خلال هذين البيتين يؤكد الشاعر الملك امرؤ القيس، أن كندة قومه وعشيرته هم ملوك العرب، وهو يتشرف بالانتماء اليهم، وقد وصفهم بالصفات الحميدة، وقد جعل نفسه من سلالة ملوك كندة آبائه وأجداده.

وفضلاً عن ذلك فقد سئل النخار العذري عن قبيلة قضاة فقال: انهم السادة، وذكر باقي أفخاذ العشيرة وما لها من الصفات الجيدة، مؤكداً أن السيادة لها علاقة مباشرة بالنسب^(٧٠).

ويضاف الى ما ذكرناه فقد أكد الجاحظ أهمية النسب بالسيادة، قائلاً: ((وربما ساد الأتاوي لأنه عربي على حال، والمفرج لا يسود أبداً لأنه عجمي لا حلف له، ولا عقد جوار ولا ولاء معروف، ولا نسب ثابت، وليس التسويد إلا في العرب))^(٧١).

ومن الملاحظ أن القبائل العربية كانت تؤكد دوماً موضوع السيادة دون غيرها من الأقوام الأخرى، بحيث لم تكن هناك قبيلة عربية إلا وفيها سيد، عدا ما عُرف عن قبيلة عدي بن كعب، حيث لم تسود عليها أحداً^(٧٢).

ومما يلاحظ أن نظام الإرث كان متبعاً في تنصيب السادة، إلا اذا أعاق الإبن الأكبر الوريث، أو أحد إخوته عائق، كالضعف أو السقّة، عند ذلك تنتقل الى غيرهم اذا ما شعرت القبيلة الى أن أحد الرجال أقدر على حماية وكفاية قومه منهم^(٧٣).

لقد حاول العربي أن يحافظ على امتياز الوراثة في تحقيق السيادة التي ورثها عن أبيه، فأخذ على نفسه تعلم الأخلاق والكرم، وتعلم الكلام وطريقته، وفضلاً عن الشعر وغيره من الأمور الأخرى، وفي ذلك قال أحد الشعراء^(٧٤):

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا
إِذَا الْمَجْدُ الرَّفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ بُنَاءُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا
يؤكد الشاعر هنا أن المجد قد ورثناه عن الآباء والأجداد، وليس كل من طلب المجد من أصحاب السوء استطاع أن يحققه، فهو يؤكد دور الوراثة والوريث في تحقيق ذلك.

إن المكانة الممتازة للأبناء، والمستمدة من آبائهم، من استطاع تحقيقها، له شرف أكبر من غيره، وإذا وصل العدد لأربعة أجيال متتالية في تلك المكانة من الآباء للأبناء، كانت القبيلة تُعدُّ أشرف القبائل، وفي هذا الصدد قال الملك الفارسي كسرى للنعمان بن المنذر ملك الحيرة: ((هل في العرب قبيلة تتشرف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، والبيت من قبيلته فيه))^(٧٥).

نستنتج من ذلك كله أن للنسب له دور كبير جداً في تحقيق السيادة، خاصة بوراثنة ذلك النسب من الآباء إلى الأبناء، عند توفر شروط السيادة الصحيحة في الشخص المراد تسويده، وأحياناً يكون تحقيق السيادة في النسب العريق أفضل من المال أو القوة، حسب تأييد القبائل للشخص المراد تسويده آنذاك، كما يُستنتج إلى أن الشخص الوافد على القبيلة أو الأعجمي لا يُمكن تسويده، إلا في الأصول العريقة أو من السلالة العريقة في تلك القبيلة، أي أن يكون معروفاً لديهم، على أن تتوفر فيه كافة الأمور الإيجابية التي ترفع من شأنه.

٤ - تحقيق السيادة من خلال اكتساب العلوم والمعارف:

اكتسب صاحب العلوم والمعارف شرفاً وعزاً ومجداً وعلواً، في تحقيق السيادة عند العرب قبل الإسلام، حتى وإن كانت باقي العوامل أكثر شأناً، وشهرة آنذاك، حينما طغت على تفكير القبائل العربية قبل الإسلام.

ومما ساعد صاحب تلك العلوم والمعارف من الحصول على تلك المرتبة الرفيعة، ولو أنها تُعدُّ بالدرجة الثانية في تحقيق السيادة، لكنها كانت محل تنافس بين القبائل العربية، خاصة في الجانب الديني، أي الذين يمتلكون العلوم الدينية، ومنهم قصي بن كلاب الذي أصبح سيداً على مكة من خلال سدانة الكعبة، كما شاركت قبائل عدة في هذا الجانب من خلال بناء بيوت العبادة، محاولة منهم لتحقيق المكانة الرفيعة الخاصة^(٧٦)، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الجانب قائلاً: ((وتقيف يومئذ أضداد بالبلدة والمال، وبالحدائق والجنان، ولهم اللات والغُبُث، وبيت له سدنة يُضاهون بذلك قريشاً))^(٧٧).

ومن بين العلوم والمعارف التي أكتسبت لتحقيق تلك السيادة: معرفة علوم سير الحكم والقضاء والدراية بها، وقد أشار اليعقوبي إلى هذا الجانب قائلاً: ((وكان للعرب حكماً ترجع إليها في أمورها، وتتحاكم إليها في منافراتها وموارِيثها، ومياهاها ودمائها، لأنه لم يكن دين يُرجع إلى شرائعه، فكانوا يُحكمون أهل الشرف والصدق، والأمانة، والرئاسة، والسن، والمجد، والتجربة، وكان أول من أَسْتَقْضِيَ إليه فحكم هو: الأفعى بن الأفعى الجرهمي، وهو الذي حكم بين نزار في ميراثهم، ثم سليمان بن نوفل، ثم معاوية بن عروة، وكان يجلس على سرير من خشب ذا الأعواد))^(٧٨).

وفضلاً عن ذلك فقد كانت هنالك شريحة أخرى حاملة للعلوم والمعارف، هي أيضاً ذي مكانة مرموقة، ألا وهم الشعراء والحُكَّام، حينما بلغوا درجات عالية من العُلا، والسمو، والرفعة، حيث عُذِّوا

بمنزلة السادة، عدا الشاعر أمرؤ القيس وهو ابن ملك، وكذلك المقربين من الملوك والسادة المتنفذين وهم النابغة الذبياني، والنعمان، والأعشى وغيرهم^(٧٩).

كان اهتمام القبائل العربية بالشعراء كبيراً، حيث كانت تلك القبائل مُقيّمة للحكماء والشعراء، وكثيري العلم، فإذا كان هنالك شاعر ماهر قويا الملكة الشعرية موزون الكلام، أُحْضِرَ للأسواق التي تقام سنوياً، وخلال موسم الحج لبیت الله، حيث تقف تلك القبائل وتجتمع، فتسمع الشعر، وتعد ذلك فخراً وشرفاً وعزة، حيث لم يكن هنالك ما ترجو اليه من الأحكام والأفعال إلا الشعر، والذي كانوا يختصمون فيه ويتمثلون به، ويتفاضلون فيه، وكذلك به يتقاسمون وبه يتناضلون ويَدْمُون ويمتدحون^(٨٠).

يبدو أن للشعر دوراً أساسياً في مجتمع القبائل العربية آنذاك، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على معنى السيادة الحقيقي؛ لأن صاحب تلك القدرة الشعرية قد نال شرفاً وعزة في عشيرته، بل وصل البعض من هؤلاء الشعراء إلى أن يصبح سيد قومه، بسبب سمعته الشعرية من خلال استدراج الناس لشعره وبلاغته، وتلك حال العرب، لأنه كما قيل ((الشعر ديوان العرب)).

لقد حمل لنا التاريخ صوراً كثيرة عن تقدير أصحاب الشعر، وأصحاب العلم والحكمة والدراية، التي قد لانجدها عند من يمتلك الشجاعة صاحب القوة الجسمانية، أو لانجدها عند صاحب المال، أو صاحب النسب، وقد سأل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الشاعر الحطّية عن سبب انتصارهم فذكر أسباباً منها إقدام عنتره، وسببين آخرين من العلم فقال: ((كان قيس بن زهير فينا، وكان حازماً فُكُّنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنتره، فُكُّنا نحمل إذا حمل، ونحجم إذا أحجم، وكان فينا الربيع بن زياد، وكان ذا رأي فينا، فُكُّنا نستشير به ولانخالفه، وكان فينا عروة بن الورد فُكُّنا نتأثر بشعره))^(٨١).

من خلال قول الحطّية يتبين لنا أن أصحاب الرأي والحكمة والشعراء كان صوتهم مسموعاً، على الرغم من شجاعة البعض والحاجة لها، وكان صاحب الرأي والعلم يُحترم، وله مكانة مرموقة بين مجتمعه آنذاك.

ومن بين الأمثلة الأخرى في ذلك: هُبيرة بن أبي وهب الذي كان سيداً شريفاً، وكانت قريش تأخذ برأيه، فعند هدم الكعبة من أجل تجديدها خافت قريش، في حين قام هو بنفسه بالهدم، وأمرهم لا يقوم أحد بالبناء إلا من الكسب الحلال، عند ذلك أخذ برأيه^(٨٢).

وفضلاً عن ذلك كان سعد بن معاذ صاحب رأي في قومه، فعند إعلان إسلامه وقف على قومه وقال: ((يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون رأيي فيكم وأمري عليكم؟ قالوا: أنت خيرنا رأياً))، فأمرهم بالإسلام، ولم تمض تلك الليلة إلا وكل واحدٍ من بني الأشهل قد أسلم^(٨٣).

يبدو أن رأي السادة أصحاب الرأي كان محترماً؛ لأن هؤلاء في نظرهم يمتلكون المقدرة، وكان رأيهم محترماً ومُقدَّراً.

وما يُلاحظ أن هؤلاء الذين يمتلكون العلوم والمعارف والخبرات، وجدوا معاناة في سبيل الحصول على تلك المكانة وذلك العلم، حيث كان الطريق شاقاً طويلاً صعباً، وفي هذا الصدد يقول عامر بن الضرب العدواني، يخاطب قومه: ((يا معشر عدوان، إن الخبر ألوف عروف عزوف، وأنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه، وأني لم أكن حكيماً حتى صحبتُ الحكماء، ولم أكن سيِّدكم حتى تعبدتُ لكم))^(٨٤).

مما يُلاحظ أن الشخص الذي يطلب السيادة بالحكمة والعلم والرأي، عليه أن يصبر ويُجاهد ويتحرى ويبحث حتى يصل الى تلك الدرجة؛ لأنه سيكون مثلاً لغيره، وسيبدأ يُقتدى به. لقد مال الفرد العربي قبل الإسلام الى الفروسية والشجاعة وقوة الأبدان، ولكن اذا ما اجتمعت تلك الفروسية للتخلي بالعلم والدراية، سيكون لهذا الفرد مكانة مرموقة بين القبائل العربية، ولنا روايات في هذا الجانب ممن جمع بين الفروسية والعلم والكتابة والرمي والأمور الأخرى، عند ذلك يُطلق على هذا الفرد: الكامل، ومن بين هؤلاء الكملة: شخصية سعد بن عبادة^(٨٥)، وأبناء فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، وهم: أنس والربيع وعمار، وهؤلاء أيضاً كانوا يُلقبون بـ: الكملة^(٨٦).

ولقد أشارت أمهم فاطمة الأنمارية بصفاتهم الايجابية فقالت: ((ان عمار لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، وقالت في الربيع، لا تُعد مآثره، ولا تُخشى في الجهل بوائره، وقالت في أنس إذا عزم أمضى وإذا سُئِلَ أرضى وإذا قُدر أغضى))^(٨٧).

يبدو أن هؤلاء الكملة يمثلون مرتبة رفيعة لتحقيق السيادة، فالجمع بين أكثر من صفتين هو غاية كل فرد عربي قبل الإسلام، وهو طموح لكل القبائل العربية الى أن تتحلى بتلك الصفات، فلفظة الكملة تعني: اكتمال هؤلاء الذين ذُكرت أسمائهم وغيرهم، بكافة الصفات التي أهلتهم بان يكونوا سادة قومهم.

ونتيجة لتقدير القبائل العربية الى أصحاب العلوم والرأي والمعارف، فقد كانت لهم منزلة حتى بعد موتهم، فعند وفاة كعب بن لؤي الذي كان خطيب العرب آنذاك، أكبرت العرب موته، حيث كانت تؤرخ تلك القبائل بموته الى عام الفيل^(٨٨)، وكذلك الحال عندما توفي عمرو بن حممة الدوسي، الذي كان قاضياً تتحكم اليه العرب، نزلوا بقبيره وذبحوا عنده الذبائح تقديرًا لشخصه^(٨٩).

نستنتج من ذلك كله الى أن هنالك تقدير خاص لأصحاب العلوم والمعارف وأصحاب الرأي عند العرب قبل الإسلام، بحيث نالوا منزلة السادة في قبائلهم آنذاك، على الرغم من الانقياد الى أصحاب الشجاعة والفروسية وأصحاب المال والكرم، وأصحاب النسب فهؤلاء قد فرضوا أنفسهم، حتى إن كانت منزلتهم تأتي بعد السادة بمرتبة أدنى، فهؤلاء هم ذوي مكانة خاصة حتى عند ملوكهم ورؤساء قبائلهم، بل أصبح ذلك الإحترام لهم قائماً حتى بعد موتهم، وهنالك شواهد سجلها التاريخ واضحة في ذلك.

٥- تحقيق السيادة من خلال التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة:

تُعَدُّ الأخلاق الفاضلة والحميدة محط اهتمام العرب قبل الإسلام، وذلك لتقدير القبائل العربية لمكارم الأخلاق، فاختبار الشخص يكون في الظروف الصعبة، فمثلاً لا يُعَدُّ الكرم كرمًا في سنة الخصب والنماء والخير، أو أن يقوم السيد بإطعام عبيده بقايا لوليمة مهما كانت، بل ان الكرم يعد قائماً وواضحاً عندما يُطْعِم هؤلاء الناس من الخبز أو التمر أو اللبن أو حتى شربة ماء، وذلك وقت الجذب والمجاعة، وكذلك الحال بالنسبة للحلم، فلا يُعَدُّ الشخص حليماً إلا اذا أحاطه واجتمع حوله السفهاء؛ لأن الأخلاق الفاضلة والحميدة هي التي تترك أثراً لدى الآخرين والنظر لمصالحهم، وتَفْقَدُ شؤونهم وأسرهم، والسعي لتحقيق رغباتهم وحاجاتهم، وإغاثة الملهوف الذي يستحق الغيث، فاذا كان الشخص في خدمة قومه نال السيادة باحترام دون منازع أو شريك له فيها^(٩٠).

لقد ذكر الكثير من الشعراء الأخلاق الحميدة والفاضلة في أشعارهم، فهذا الشاعر الأفوه الأودي الذي عاش عصر الجاهلية، وصف ذلك قائلاً^(٩١):

فِينَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ وَإِنْ بَنَى قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا
لَا يُرْشِدُونَ وَإِنْ يَرْعَوْا لِمُرْشِدِهِمْ فَالْجَهْلُ مِنْهُمْ مَعًا وَالْفَتَى مِيعَادُ
وَأَنْ تَجْمَعَ أَقْوَامَ ذُوو حَسَبٍ إِنْطَادَ أَمْرُهُمْ بِالرُّشْدِ مُصْطَادُ
لَا يُصْلِحُ النَّاسَ فَوْضَى لَأَسْرَاةٍ لَهُمْ وَلَا سُورَاةٍ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا
تَبْقَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَسْرَارِ تَنْقَادُ
من خلال قول الشاعر لتلك الأبيات يتبين لنا أن المرشد العادل المتمتع بالأخلاق الفاضلة والحميدة، هو الشخص المُحْتَرَم؛ لأنه من أهل الرأي والحكمة، واليه ينقاد الناس، حيث يكون موجهاً ومعلماً ومرشداً صالحاً لهم، وسيداً لقومه باحترامهم أجمعين.
ومما يُلاحظ أن الذي يكون صاحب الأخلاق الفاضلة والحميدة، تكون أخلاقه أسمى من أخلاق قومه وممن سبقه، حتى يجد أرضية في جمع الناس حوله لتحقيق السيادة، وهذا الشاعر امرؤ القيس مدح رجلاً بتفوق أخلاقه على أهله وعشيرته، قائلاً^(٩٢):

وَتُعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا وَمِنْ خَالِهِ وَمِنْ يَزِيدُ وَمِنْ حَجَرٍ
سَمَاحَةً ذَا وَبَرٍّ ذَا وَفَاءٍ ذَا وَنَائِلُ ذَا إِذَا صَاحَا وَإِذَا سَكَرَ
من خلال كلام امرؤ القيس ان الشخص يكون ذا شمائل، قد اكتسبها من الخال وغير الخال، وان يكون سمحاً ذي وفاء سواء كان صاحباً أو في حالة السكر.
وفضلاً عن ذلك أن يكون الشخص صبوراً حليماً؛ لأن الصبر والحلم من شيم الأخلاق الفاضلة، وقد أشار الشاعر المتلمس الى ذلك، قائلاً:

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وَدَّهِمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحْلُمَا

ونضيف الى ما سبق أن يكون الشخص مقتنعاً بنفسه، ولا يكون ذا هدف محدود أو مصطنع، وفي ذلك يقول الشاعر ذي الأصبع العدوانى^(٩٣):

كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٍ لَشَيْمَتِهِ وَأَنْ تَخْلُقَ أَخْلَاقاً إِلَى حِينٍ

من خلال هذا البيت نستنتج أن شيمة الشخص هي أساس أخلاقه، مهما كانت الظروف التي يمر بها، ومهما اكتسب من أخلاق، فذلك يرتبط بنفسيته وتربيته التي نشأ فيها.

ولنا مثال في شخصية حاتم الطائي في الأخلاق الفاضلة والحميدة، حينما نال مكانة إجتماعية واسعة، فهو لم يكن كريماً فقط، وإنما كان فارساً شجاعاً رحيماً بقومه، ومن أراد قاصداً معروفاً أيضاً، حتى مدحه الأدباء فهو من شعراء العرب، جواداً، مصداقاً في قوله وفعله، فكان مظفراً، اذا قائل غلب أعدائه، واذا غنم أنهب، واذا سُئِلَ وهب، واذا ضرب بالقداح فاز، واذا سابق سَبَقَ، واذا أسّر أطلق^(٩٤).

ومن شعر حاتم الطائي عن أخلاقه، يقول^(٩٥):

وَأَصْبَحْتُ فِي أَمْرِ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا كَذِي الْحِلْمِ يَرْضَى مَا يَقُولُ وَيَعْرِفُ

وَذَلِكَ لِأَنِّي لَا أَعَادِي سُورَاتِهِمْ وَلَا عَنْ أَخِي ضَرَّائِهِمْ أَتَتَكَفُّ

وَأَنِّي لِأَعْطِي سَائِلِي وَلِرَبِّمَا أَكْلَفُ مَا لَا أَسْتَطِيعُ فَأُكْلَفُ

وَأَنِّي لَمَذْمُومٌ إِذَا قِيلَ حَاتِمٌ نَبَا نَبَوَّةٍ إِنْ الْكَرِيمَ يَعْنَفُ

هنا حاتم الطائي وصف نفسه بأنه صاحب سيادة كل العشيرة، وأنه صاحب الحلم كيف يقول، وكيف ينطق، ويعطي السائل، حتى وان كلفه ماله، أو نقص منه، ويقول انه مذموم ان لم يكن كريماً معطاءً يساعد المحتاجين، فهو لم يعاد أحداً أبداً، بل كان محبوباً من عشيرته ومن غير عشيرته، في القبائل العربية الأخرى في جزيرة العرب.

إن الأخلاق الفاضلة الكريمة الحميدة التي تمتع بها حاتم الطائي، أوصى بها ابنه عدي حينما حضره الموت، قائلاً له: ((يا بني أعهدك من نفسي ثلاثاً، ما خالفتُ الى جارةٍ لسوءِ قط، ولا أتمنتُ على أمانة قط إلا أديتها، ولا أتى أحداً من قبلي سوء))^(٩٦).

وعندما سُئل عدي بن حاتم الطائي عن السيادة، قال: ((السيد الأحق في ماله، الذليل في عرضه، المطرح لحقه))^(٩٧).

من خلال الأخلاق التي تمتع بها حاتم الطائي وابنه عدي، أصبحا فعلاً سيّدا قومهما من خلال النظر الى حقوق الآخرين وحرّياتهم، والحرص على أعراضهم وأعرافهم؛ لذلك تجلّت السيادة فيهم وغيرهم ممن تحلى بأخلاقهم الفاضلة الكريمة.

وفضلاً عن ذلك فقد خلد لنا التاريخ نماذج أخرى ممن تحلّوا بالأخلاق الفاضلة والحميدة، منهم: قيس بن عاصم، فعندما سُئل قيس بن عاصم بما ساد قومه، فقال: ((ببذل الندي، وكف الأذى، ونصر المولى))^(٩٨).

وكذلك الحال بالنسبة الى شخصية (ذو الأصبع العدوانى) فقبل وفاته بلحظات أرسل الى ابنه وأوصاه، قائلاً: ((يا بُني إن أباك قد فُني وهو حيّ، وعاش حتى سلم العيش، وأني موصيك بما أن حفظته، بلغت في قومك ما بلغت، فأحفظ عني، ألن جانبك لقومك يُحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يُطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيئ يسودوك، وأكرم صغارهم كما تُكرم كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، وأسمح بمالك، واحم حريمك، واعزز جارك، وأعِن من استعان بك، واكرم ضيفك، واسرع النهضة في الصريخ، فان أجلاً لا يعدوك، وصن وجهك عن مُساعلة أحد شيئاً، بذلك يتم سؤددك))^(٩٩).

ومن بين النماذج الأخرى التي نالت السيادة بالأخلاق الفاضلة والحميدة: هشام بن المغيرة، فعندما توفي لم تُفتح سوق عكاظ لثلاثة أيام، كما جعلت قريش من وفاته تاريخاً، حتى ان الرسول 7 قال فيه: ((لو دخل مشرك من العرب الجنة لدخلها هشام بن المغيرة، انه كان لأقراهم للضيف وأحملهم للكل))^(١٠٠).

نستنتج من ذلك كله أن الأخلاق الفاضلة والحميدة، لها دور فاعل في تحقيق السيادة عند العربي قبل الإسلام، وقد تركت آثار هائلة حتى بعد مماتهم، وإذ فقد فرضوا أنفسهم بأخلاقهم، حتى تغنى بهم الشعراء كثيراً، إذن كانت تلك الأخلاق هي سمة العرب الواضحة على الرغم من الحالات السلبية التي كانت منتشرة آنذاك، فالشخص المراد تسويده على قومه، عندما تتوفر فيه الفضائل الحميدة والأخلاق الجمة، يصبح موضع تقدير واحترام من قبيلته ومن باقي القبائل العربية الأخرى.

رابعاً: طرق وأساليب ووسائل وظروف وصول الفرد العربي للسيادة قبل الإسلام:-

استخدم الفرد العربي قبل الإسلام طرق وأساليب ووسائل عدّة للوصول إلى منصب سيد القوم، كما أن البعض قد خدمته ظروفًا، أصبحت في صالحه للوصول الى هذا المنصب، وهو منصب: (السيادة).

لقد كان هنالك جدل بين أفراد القبيلة الواحدة، حول: فيمن يُختار، وكيف يُختار، وأين يُختار هذا السيد، فكانت هنالك طرقاً وأساليب لاختيار هؤلاء السادة، من خلال ظروف معينة يتم من خلالها اختيار سيد القبيلة، ومن بين طرق الاختيار تلك، هي:

١- الموت المفاجئ والعجز من السيد الأول:

عندما يتوفى سيد العشيرة أو القوم، أو عندما يكون ضعيفاً عاجزاً عن قيادة قومه وتلبية متطلباتهم، لابد من إيجاد البديل عنه، حيث يُؤخذ الحكم والقيادة منه، وينتقل الى الذي أقوى منه لتحمل تلك المسؤوليات الجمة، وقد ذكر لنا التاريخ العربي قبل الإسلام نماذج من ذلك، فقد أصبحت السيادة الى شخصية قصي بن كلاب على مكة؛ لأنه استطاع أن يحقق أموراً عجز عن تحقيقها من سبقة، حيث جمع القبائل تحت لوائه وقيادته، وكل من سكن مكة وما حولها أصبح تحت قيادته، ونتيجة لذلك أطلقت عليه العرب: (مجمعاً)؛ لأنه جمع أمر تلك القبائل^(١٠١).

ومما يلاحظ ان قصي عمل على تحقيق كل مكرمة، لما فيها خير قومه، وقد كانت داره مركزاً للتشاور والإدارة وإعلان الحرب والصلح، كما ذكرت الروايات التاريخية بأنه لا تبلغ أنثى أو يُختن ذكر إلا في داره، حيث كان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد مماته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره، وذلك تيمناً وكراماً لأمره، ومعرفة بفضلته وشرفه وعفته^(١٠٢).

ويبدو أن ظروف وفاة السيد كانت من العوامل المساعدة للشخص الآخر بان يصبح سيداً دون عناء، وهذا ظرف خدمه في تحقيق السيادة، أما الشخص الذي يحمل المؤهلات كافة فقد أخذها

باستحقاقه كما فعل قصي؛ لأن تلك المؤهلات هي التي أوصلته لقيادة قومه وقيادة القبائل الأخرى وفرض السيادة عليها.

٢- الظهور بالمكانم الحسنة أمام الناس:

يُعدّ هذا العامل من بين العوامل الرئيسية لوصول الشخص الى منصب السيادة، فكان بعض العرب يعمد الى مكرمة يأتي بها أمام الناس، كما يحرص على الظهور بتلك الأخلاق في كافة المناسبات والمجامع، حتى تُعرف مكانة ذلك الشخص، حيث يُمدح وينال رضا قومه فيصبح سيّداً لهم، وقد سأل شخص، شخصاً آخر عن (طريف بن تميم) فقال له: ((كيف كان طريف في قومه؟ فقال له: كان أثقل العرب على عدّوه وطأة، وأقراهم لضيّفه، وأحوطهم من وراء جاره، اجتمعت العرب في عكاظ^(١٠٣)، فكلهم أقرّوا له بهذه الخلال والصفات))^(١٠٤)؛ لذلك نال مكانة كبيرة بين قومه وباقي القبائل العربية.

وفضلاً عن ذلك فقد كانت العرب تمتنع أن تجعل عليها سيّداً ممن يُعابون بسيادته، بين قومه وباقي القبائل العربية، فيبحثون ويتحرون لمنصب السيادة بحثاً دقيقاً حتى يتحقق رجاله منه، فينال هذا المنصب، وقد أوصى النمر بن تولب أبناءه قائلاً: ((وسودوا من لا تُعابون بسؤدده))^(١٠٥).

يبدو أن طريقة الظهور بالمكانم الحسنة أمام الناس، كانت هي المفضلة لدى بعض الأشخاص، إذ يكسب فيها شعبية واسعة أمام قومه والأقوام الأخرى؛ لأن قومه ينظرون الى أقواله وأفعاله، وان يكون جديراً بسيادته لقومه.

٣- التنافس فيما بين الأفراد للوصول الى هذا المنصب:-

سعى الفرد العربي قبل الإسلام الى التنافس مع غيره للوصول الى منصب السيادة، خاصة اذا كان الساعون للوصول الى هذا المنصب كثيري العدد، وذلك التنافس يحدث إما عن طريق قول الشعر، أو إطعام الطعام، أو كثرة الأولاد، أو حُسن الأخلاق، وغيرها من الأمور الأخرى، فاذا عجز واحد من هؤلاء المتنافسين في ذلك غلبه خصمه في السيادة، أما إذا لم يكن هنالك تنازل من واحد منهم، فيلجأوا الى شخص يُحكم فيما بينهم، ليُقدّر هذا الحاكم مَنْ يكون السيد فيهم، وهؤلاء المتنافسين يلجأون أحياناً الى شخص حكم له شهرة وسلطة وقدرة وجاه في قومه وبين باقي القبائل العربية الأخرى، حتى لا يكون مُحازراً في حكمه بسبب قرابة أو خوف من أحد، أو له علاقة بأحد، فإذا فضّل شخص على شخص آخر، يصبح ذلك الشخص المُفضّل سيد قومه طوال حياته، سواء إن قبل به خصومه أم لم يقبلوا.

ذكر لنا التاريخ العربي قبل الإسلام نماذج من الأفراد المتنافسين على منصب السيادة، منها: منافسة عبد المطلب بن هشام ضد حرب بن أمية، وهؤلاء أرادوا التنافس الى النجاشي ملك الحبشة ولكن النجاشي اعتذر عن ذلك؛ خوفاً من النتائج التي قد تتعكس عليه، بانقطاع التجارة عنه، لذلك جعل بنو أمية وبنو هاشم حكماً بينهم وهو: (نُفيل بن عبد العزى) وهذا الرجل قدّم عبد المطلب على حرب قائلاً: ((يا أبا عمرو أئنّا فرّ رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم منك وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجل منك صفداً، وأطول فيك مذوداً، وإنّي لأقول هذا، وان فيك لخصالاً، انك لبعيد الغضب، رفيع الصيت في العرب، جلد المريرة، تُحبك العشيرة، ولكنك نافرت مُنافراً))^(١٠٦).

يبدو أن نُفيل بن عبد العزى حدّد الصفات الصحيحة في عبد المطلب، وتفضيله على حرب بن أمية، بكافة المكارم المذكورة التي غلبته على حرب بن أمية، لكنه في الوقت نفسه أراد أن لا يُغضب حرب بن أمية، فوصفه بصفات إيجابية له.

٤- تحقيقها من خلال رأي أفراد القبيلة مباشرة بالشخص المطلوب تسويده: من بين الطرق والأساليب الأخرى لوصول الفرد العربي الى السيادة، استطلاع رأي أفراد القبيلة مباشرة بالشخص المطلوب تسويده، وقد وصف الشاعر ذو الرمة ذلك قائلاً^(١٠٧):

اِذَا نَحْنُ رَفَأْنَا امْرَءًا سَادَ قَوْمَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ ذَلِكَ يُذَكَّرُ
ومن الملاحظ أن القوم يختارون الشخص المناسب للسيادة ضمن قواعد معينة، وفي ذلك يقول سماك بن حرب: ((ان أهل الجاهلية كانوا يُسوّدون الرجل في ست خصال، ولا يتمن في الإسلام إلا بسبع، وقد كملن في شخص (محارب بن دثار)، وهو: الصبر، والحلم، والسخاء، والشجاعة، والبيان، والتواضع، ولا يتمن في الإسلام الا بالعفة))^(١٠٨).

وفي هذا الصدد أيضاً أشار د.جواد علي، قائلاً: ((السيادة منزلة ودرجة، ولا تأتي أحداً إلا باعتراف قومه له بسيادته عليهم، وبتصيينهم له سيداً عليهم، وكانوا إذا سوّدوا شخصاً عصبوه، والتعصيب: التسويد، ولهذا كانوا يسمّون السيد المُطاع: معصباً، وان العصابة هي: العمامة، وكانت عمام سادة العرب هي العمام الحُمْر))^(١٠٩)؛ لذلك فقد كان سعيد بن العاص قد لبس العمامة الحمراء في مكة، واذا اعتّم بها، لم يَعْتَمُ أحد بلون عمامته الحمراء؛ وذلك تقديراً وإعظماً له، فكان يُقال له: ذو التاج^(١١٠).

يبدو وان لبس العمامة عند سادة القوم شرف ما بعده شرف، كما أن اعتراف القوم للشخص بالسيادة وتصيينه عليهم بالإجماع، هو احترام لهذا الشخص من قبل أفراد القبيلة، وان لم تتوفر فيه السمات والخصال الطيبة، فضلاً عن الشجاعة، ليمت اختياره من بينهم، حتى وان انتقلت السيادة وراثياً من الأب الى الابن، بشرط ان تتوفر فيه الخصال السبعة المذكورة أعلاه، وإلا فلا يتم اختياره سيداً على قبيلته.

٥- طريق فرض القوة والقبول بالأمر الواقع:-

يعدُّ طريق فرض القوة وقبول القبيلة أو باقي القبائل بالأمر الواقع، من بين الطرق والأساليب المستخدمة لوصول العربي الى السيادة، إذ كان المَلِك يقوم على ست أمور، هي: الكرم، والعدل، والعدل، واصطناع الرجال، والأأيادي، والعشيرة^(١١١).

واذا تحققت تلك الأمور الستة نال الشخص السيادة، أما صنع الرجال، فكلّ من رغب بالملك يتخذ الصنائع والوضائع، حيث كان العربي يصطنع لنفسه من أجل الغزو، أما الوضائع فهم أشبه ب: المشايخ^(١١٢).

يبدو ان تحقيق المَلِك والسيادة ليس بالأمر السهل، فعلى الشخص ان يكون شجاعاً، ويفرض القوة بالأمر الواقع، عند ذلك تهابه القبيلة وترسخ لقوته وشجاعته. ونتيجة تلك القوة والشجاعة المفروضة بالأمر الواقع، برز لدينا منصب: (الرديف)، وهو الذي يلي المَلِك، ويجلس على يمينه ويأكل بعده، واذا غاب حلّ محله حتى عودته، واذا غزا المَلِك أخذ المربع^(١١٣).

ومن الملاحظ أن هذا المنصب (الرديف) قد فُرضَ بالإكراه والقوة، تفرضه قبيلة على قبيلة أخرى (قبيلة المَلِك)، وذلك بسبب قوة تلك القبيلة، فيضطر الملك للقبول بالأمر الواقع، كما يضطر الى

مشاركتهم هذا المنصب؛ وذلك لكف أذاهم، مقابل تلك الامتيازات المذكورة، لذلك كان المعتمد على من يفرض القوة والقبول بالأمر الواقع لتلك القوة المسيطرة^(١١٤).

نستنتج من ذلك كله أن هنالك طرقاتاً ووسائل وظروف كانت مُساعدة للوصول الفرد العربي إلى السيادة، فقد بذل العربي جهداً كبيراً، سواء ببذل الأموال، أو المكارم الحسنة، أو مكارم الأخلاق، أو بذل النفيس أمام القبيلة في المعارك، أو خَدَمَتْهُ بعض الظروف للوصول إلى السيادة، مثل: الموت المفاجئ لسيد القبيلة أو عجزه أو مرضه، وكل تلك الطرق والوسائل والأساليب قد ساعدت الفرد العربي حتى يكون سيد قومه.

خامساً: الأمور التي تمنع تحقيق السيادة عند الفرد العربي قبل الإسلام:

هنالك عدّة أمور منعت الفرد العربي قبل الإسلام من تحقيق السيادة على قومه، وعلى باقي القبائل العربية الأخرى في مناطق الجزيرة العربية، فقد ذكر لنا الجاحظ بأن هنالك أموراً لا يمكن من خلالها تحقيق السيادة أو هي مانعة للسيادة، إذ يقول: ((والأخلاق التي لا يمكن معهما السؤدد هي الكبر، والكذب، والسُخف ومثل الجهل بالسياسة)^(١١٥).

وفضلاً عما ذكره الجاحظ، هنالك أموراً أخرى تمنع تحقيق السيادة أيضاً، منها: الهرب من سير المعارك، والتكالب والتهاؤت على الغنائم، وقتل أسرى الحروب بعد انتهاء المعارك، واتخاذ السبايا من نساء العرب الأحرار للمتعة والتسلية، وفي صدد هذا الحديث فقد انتقد، وعاب (خفاف بن ندبة) العباس بن مرداس، عندما أراد أن يصبح سيد قومه قائلاً: ((ان عباس بن مرداس يُريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس، ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به، فقال له فتى من رهط العباس، وما تلك الخصال يا خفاف؟ فقال: إنقاؤه بخيله عند الموت، واستهانته بسبايا العرب، وقتله للأسرى، ومكالبته للصعاليك على الأسلاب، وقد طالت حياته حتى تمنينا موته))^(١١٦).

يتضح لنا أن هذه الأمور التي قيلت في شخص العباس بن مرداس لا تليق به بأن يصبح سيد قومه؛ لأن المعروف عن السيد أن يمتاز بخصال جيدة، كالأخلاق، والعلم، والشرف، والعفة، والشجاعة، وغيض النظر عن النساء، وغيرها من السجايا الخلقية الحميدة، لأن سيد القوم ينظر إليه قومه كمثل أعلى لهم، لا أن تنطبع الأمور السلبية فيه.

وفضلاً عما ذكر أعلاه، فقد أشارت صفحات التاريخ إلى نماذج من السادة، انطبعت فيهم الأمور السلبية، وكان الأجدر بهم الإمتناع عن تولي تلك السيادة، وفي هذا الصدد قال الجاحظ: ((لقد ذكر أبو عمرو بن العلاء جميع عيوب السادة، وما كان فيهم من الخلال المذمومة، حيث قال: ما رأينا شيئاً يمنع من السؤدد إلا وقد وجدناه في سيد، فقد وجدنا البخل يمنع من السؤدد، وكان أبو سفيان بن حرب بخيلاً، والعُهار يمنع من السؤدد، وكان عامر بن الطفيل سيداً وكان عاهراً، والظلم يمنع من السؤدد وكان حذيفة بن بدر ظالماً، وهو سيد غطفان، والحمق يمنع من السؤدد، وكان عثيبة محمقاً وهو سيد، والإملاق يمنع من السؤدد، وكان عتبة بن ربيعة مملقاً، وقلة العدد تمنع من السؤدد، وساد أبو جهل وما طرّ شاربه، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته))^(١١٧).

وعلى الرغم مما ذكر من الصفات أعلاه التي تمنع تحقيق السيادة، لكننا نجد ان البعض كانت فيه تلك الصفات السلبية وكان سيّداً، فقد كان بعض بنو أمية أصحاب كبر وكانوا سادات قومهم، وان البعض من السادة كانت صفة الكذب ملازمة لهم، فالسيادة إذن بحد ذاتها كذب مُقَنَّ، كما ذكر الجاحظ في رسائله، إذ قال: ((لا يجتمع في رجل سياسة وصدق، كما لا يجتمع كذب وحزم، أمّا السُخف فكفى بعمر بن هند أن قُتِلَ بسبب رغبة أن تخدم أم عمرو بن كلثوم أمه))^(١١٨).

نستنتج من ذلك كله أن الأمور السلبية تمنع تحقيق السيادة عند العربي قبل الإسلام، وعار على السيّد إن تحلّى بالصفات الذميمة المذكورة أعلاه، لكن ذلك لم يمنع من تحلّي بعض السادة بها، وعلى العموم فالتاريخ ذكر لنا نماذج من السادة الذين كانت أعمالهم طيّبة وإيجابية، وما تزال تُذكر حتى الوقت الحاضر، وذمّ السادة الذين شوّهوا معنى السيادة الصحيح.

الخاتمة

بعد إكمال بحثي هذا بعونه تعالى توصلت للنتائج التالية:-

- (١). وجدت السيادة معناها الحقيقي عند الفرد العربي قبل الاسلام، حينما شاعت عند العرب كلمة سيد، ووصفت بألفاظ التعظيم والتبجيل منذ القدم كلفظة (بعل) أو (عشتر بعل) أو (كهتم)، وغيرها من الألفاظ الأخرى، خاصة بين سكان بلاد اليمن.
- (٢). ان لفظة السيد كانت تُطلق بحسب ما ذكر علماء اللغة على الرب أو المالك، أو الفاضل، أو الكريم، أو الحليم، أو المقدم، أو الزوج، أو الرئيس، فهي أذن لفظة للتعظيم والتفخيم من شأن هؤلاء وكما شاع استعمالها عند عرب الحجاز، والعراق، وبلاد الشام.
- (٣). هنالك سمات وصفات يجب أن تتوفر في الشخص المراد تسويده، مثل الحلم، والكرم، وغض النظر عن أعمال الحمقى، والسخاء، والنجدة، والصبر، والتواضع، والشجاعة، والبيان، وان توفرت في الشخص المناسب يصبح سيد قومه.
- (٤). كان سيد القبيلة يأخذ برأي قبيلته، ولا يستبد برأيه، وعليه مشاوره قومه في كل صغيرة وكبيرة، إلا حالات نادرة قد استبد فيها بعض السادة برأيهم.
- (٥). يُعدّ عامل السخاء بالأموال وصرافها من بين أهم العوامل لتحقيق السيادة المطلوبة، ولنا نماذج كثيرة من هؤلاء قد خلدهم التاريخ، مثل عروة بن الورد، وحاتم الطائي وعبد المدان، وأمّية، وغيرهم، ولا ننسى إن الشعراء العرب قبل الاسلام قد خلّدوا هؤلاء السادة في قصائدهم، ولنا نماذج كثيرة في ذلك.
- (٦). تُعد الشجاعة والقوة الجسمانية من بين العوامل المهمة الأخرى في تحقيق السيادة، حتى وان لم يمتلك الفرد الشجاع الأموال، فالشجاعة والقوة كانت تهابها القبائل، والأشخاص الشجعان كانوا محل اهتمام القبيلة، وهؤلاء قد فرضوا سيادتهم بقوتهم، ومنهم عنزة بن شداد، وقيس بن زهير العبسي، وعامر بن الطفيل، وغيرهم، كما ان قبائل قوية قد فرضت سيادتها على قبائل أخرى كقبيلة مُرّة، وبنو الحارث بن كعب وقبيلة عبس، وغيرها، ولنا نماذج من الأبيات الشعرية في ذلك.
- (٧). ان الوراثة بالنسب تعد من الأمور المهمة للشخص المراد تسويده، فهؤلاء السادة يفتخرون بنسبهم لأبائهم كنسب السيد عبد الدار لأبيه قصي بن كلاب ونسب بنو معاوية بن كندة ومنهم ثور ومرتع وامرؤ القيس وقد ظل العربي يحافظ على امتياز الوراثة بالنسب.
- (٨). للعلوم والمعارف المكتسبة أهمية كبيرة في جعل الفرد العربي أن يصبح سيد قومه لأن هؤلاء الأشخاص هم متمكنون في العلوم الأدبية والعلمية والدينية والمعارف وغيرها، وكان هؤلاء محترمين حتى وان لم ينل قسم منهم السيادة، فالعرب تحترم صاحب العلوم والمعارف، كما كان هؤلاء مقربون حتى من الملوك انفسهم، ومنهم هبيرة بن أبي وهب، وقيس بن زهير، وأبناء فاطمة بنت الخرشب وغيرهم.
- (٩). تعد الأخلاق الفاضلة والحميدة من الأمور المهمة لنيل بعض الأفراد منصب السيادة، والشخص الحليم الخلق الفاضل يكون محترماً من قومه، وباقي القبائل الأخرى، لأن شمائل الأخلاق مهمة عند العرب قبل الاسلام، كشخصية حاتم الطائي وابنه عدي، وقيس بن عاصم، وهشام بن المغيرة، وغيرهم، وقد مدح هؤلاء الشعراء في قصائدهم.

- (١٠). استخدم العربي طرقاً ووسائل عدة لنيل السيادة، كما ان البعض منهم قد خدمته الظروف بأن يصل لهذا المنصب، كالموت المفاجئ لأحد الشيوخ، أو المرض، أو العجز، فضلاً عن كبر السن لشيوخ أو سيد القبيلة الأول، فيحل محله شخص آخر.
- (١١). تعد المكارم الحسنة، احد الطرق المتبعة لوصول الفرد العربي لمنصب السيادة فهذا الطريق هو الأنسب والأسهل، كأن يأتي شخص بمكرمة معينة، ولنا نموذج في ذلك متمثل بشخصية طريف بن تميم.
- (١٢). للتنافس فيما بين الأفراد دور مهم، وطريقة مهمة وصعبة لوصول الشخص الى السيادة، وذلك التنافس أما عن طريق قول الشعر، أو إطعام الطعام، أو كثرة الأولاد، أو حسن الأخلاق، وإذا لم يتنازل أحدهم عن التنافس، فيلجؤون الى شخص يحكم فيما بينهم، للأصلح منهم.
- (١٣). لرأي القبيلة دور مهم، في وصول الشخص الى منصب السيادة، فان زكته قبيلته يستلم المنصب، وان لم تزكّيه واستهانت به فلا ينال هذا المنصب إطلاقاً، وعلى الشخص أن يكون ذي خصال حسنة في نيل هذا المنصب، وحتى ينال رضا قبيلته عليه، كالصبر، والحلم، والسخاء، والشجاعة والبيان، والتواضع.
- (١٤). إن فرض القوة أمراً واقعاً لتقبل القبيلة لهذا الشخص بأن يصبح سيداً، بل ان بعض القبائل قد فرضت نفسها بالقوة على قبائل أخرى، ونالت السيادة حتى ان بعض الملوك العرب أعطوا منصب الرديف لقبائل فرضت نفسها بالقوة.
- (١٥). هنالك أموراً قد منعت الشخص بأن يصبح سيد قومه، كالبلخل، والعهار، والظلم، والحمق، والتملق، وقلة العدد، ولكن رغم ذلك نجد ان بعض السادة كانت لديهم بعض تلك الصفات وكانوا سادات قومهم، ولكنهم قلة، وقد ذكر لنا التاريخ نماذج من هؤلاء.

هوامش البحث

- (١). العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١/ ص١٥٦؛ التاريخ السياسي للدولة العربية، ج١/ ص٤٩.
- (٢). د.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٤/ ص٥٤٦.
- (3). Ghul, Mahmud Ali, Arabien Languages and classical Arabic Sources, p. 128.
- (٤). د. جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٥٤٦.
- (5). Glaser, Zwei Inschriftten p. 68.
- (٦). ابن منظور، لسان العرب، ج١٧/ ص٢٢٢.
- (٧). د.جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٥٤٧.
- (٨). ابن منظور، لسان العرب، ج٣/ ص٢٢٨ وما بعدها (سود).
- (٩). د.جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٣٤٣.
- (١٠). المرجع نفسه، ج٤/ ص٣٤٤.
- (١١). الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجت الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية، د/ت، ج١/ ص٩٩.
- (١٢). لامانس، سيد القوم ودوره في مجتمع الجاهلية، مجلة المشرق، السنة ١٩٣٢، العدد ٢، بيروت، ١٩٣٢، ص١١٠.
- (١٣). العلي، محاضرات، ص١٥٦-١٥٧؛ سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الاسكندرية، ١٩٦٦م)، ص٥٧٢-٥٧٣؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج٢، ص١٨٧؛ د.جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٣٥٠.
- (١٤). الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٢/ ص١٨٧؛ د.جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٣٥٠.
- (١٥). العلي، صالح احمد، محاضرات، ج١/ ص١٥٧.
- (١٦). الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٨/ ص٢٥٦، مادة حلم.
- (١٧). د. جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٣٥٢.
- (١٨). الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج٤/ ص٨٥-٩٢.
- (١٩). النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج٦، ص٥٠.
- (٢٠). الألوسي، بلوغ الأرب، ج٢/ ص١٨٧؛ علي، د. جواد علي، ج٤/ ص٣٥١.

- (٢١). د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب، ج٤/ ص٣٤٥.
- (٢٢). ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، فصل في أن الرئاسة أو السيادة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية، وفصل في ان الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم، ص١٣١-١٣٣.
- (٢٣). العلي، محاضرات، ج١/ ص١٥٨.
- (٢٤). د.جواد علي، المفصل، ج٤/ ص٣٥١-٣٥٢.
- (٢٥). المرجع نفسه، ج٤/ ص٣٥١.
- (٢٦). الجاحظ، كتاب الحيوان، (بيروت، ١٩٦٩م)، ج٣/ ص٨٠.
- (٢٧). الجاحظ، الحيوان، ج٣/ ص٨٠ ؛ رسائل الجاحظ، ج٤/ ص٢٠٢.
- (٢٨). ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١/ ص٣٤٨.
- (٢٩). ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، (بيروت، ١٩٨١م)، ج١/ ص٦٧٢.
- (٣٠). ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج١/ ص٣٤٦، والمقصود بكلمة نشب هنا: المال أو العقار.
- (٣١). المصدر نفسه، ج١/ ص٣٤٦، والمقصود بكلمة المصرمون هم الفقراء كثيرو العيال.
- (٣٢). المصدر نفسه، ج١/ ص٣٤٦.
- (٣٣). ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج١/ ص٢٠٢.
- (٣٤). الفالوذج: هي حلوى تعمل من الدقيق والماء والعلس، ينظر: ابن سيده، المخصص، مج١/ ج٥/ ص٢٠.
- (٣٥). ديوان أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، ص٢٠١ ؛ القالي، كتاب الأمالي، ج٣/ ص٣٨ ؛ ولباب البر هو اللحم المأخوذ من صغار المعزى وكان طعام أهل مكة المفضل. للمزيد، ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ج١، ص١٨ ؛ علي، جواد، المفصل، ج٧/ ص٥٨١.
- (٣٦). سالم، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٨٩.
- (٣٧). الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٣/ ص٨٣.
- (٣٨). ديوان طرفة بن العبد، ص١٣٧.
- (٣٩). ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ص٣٣٣ .
- (٤٠). ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج١/ ص١٩٩.
- (٤١). القالي، كتاب الأمالي، ج١/ ص٢٣٩.
- (٤٢). ديوان طرفة بن العبد، ص١٤٠ .
- (٤٣). القالي، كتاب الأمالي، ج٣/ ص٣٠.
- (٤٤). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١/ ص٣٠٤.
- (٤٥). الأصفهاني، ج١/ ص٣٥٤.
- (٤٦). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١/ ص٣٠٤.
- (٤٧). الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢/ ص٦٤.
- (٤٨). ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ص١٥٨.
- (٤٩). التلمساني، في نسب النبي وأصحابه العشرة، ج١/ ص٣٩.
- (٥٠). الأزرق، تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار ج١/ ص٢٥١.
- (٥١). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ ص٤٨.
- (٥٢). ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج١/ ص١٩٨، ص٦١٣.
- (٥٣). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١/ ص٧٠.
- (٥٤). ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج١/ ص٤٦٩.
- (٥٥). الأصفهاني، الأغاني، ج٣/ ص٧٣.

- (٥٦). ابو عبيدة بن المثنى التيمي، أيام العرب قبل الاسلام، ص ١٨١.
- (٥٧). الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ١/٣٥١، ج ٣/٨٠؛ رسائل الجاحظ، ج ١/ص ٣٦٦.
- (٥٨). الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ٢/ص ٩٥.
- (٥٩). ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج ١/ص ٦٩؛ والملاحظ أن وفاة لقيط بن زرارة كانت قبل هجرة الرسول (ص) بثلاث وخمسين سنة تقريباً.
- (٦٠). ديوان الحماسة، ص ٣٣٦.
- (٦١). الجاحظ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢م، ص ٢٩.
- (٦٢). القلنسوة: هي لباس مستدير مبطن من الداخل، يوضع على الرأس، ويصنع من القماش أو الجلد، وتوجد فيها خرزات وهي تشبه السامة، وكان الناس يلبسون العمام على القلائس، للمزيد ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣/ص ٤٤٤.
- (٦٣). ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ٣/ص ٥٣٩.
- (٦٤). ديوان الأعشى، ميمون بن قيس ت ٦٢٩هـ/ص ١٢٤.
- (٦٥). ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج ١/ص ١٠٥.
- (٦٦). الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧/ص ٦٦.
- (٦٧). ابن هشام، السيرة النبوية، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١/ص ٥٠٨؛ ج ١/ص ١٠٧.
- (٦٨). الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٨.
- (٦٩). ديوان أمروئ القيس، ص ٧٩.
- (٧٠). القالي، كتاب الأمالي، ج ٣/ص ٧٠.
- (٧١). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٤/ص ١٨٨.
- (٧٢). البغدادي، المنمق في أخبار قریش، ج ٤/ص ١٨٨.
- (٧٣). د. واد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٥، ص ١٩٨.
- (٧٤). الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ٣/ص ٨٣.
- (٧٥). الأصفهاني، الأغاني، ج ١٩/ص ١٩٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٣٨.
- (٧٦). المصدر نفسه، ج ١٩/ص ١٩٦.
- (٧٧). الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ٧/ص ١٩٨.
- (٧٨). احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ يعقوبي، ج ١/ص ٢٥٨.
- (٧٩). المصدر نفسه، ج ١/ص ٢٦٢.
- (٨٠). الأزرق، تاريخ مكة، ج ٢/ص ٢٧٤؛ الأشبيلي، مختصر العين، ج ١/ص ١٦٤.
- (٨١). الاصفهاني، الأغاني، ج ٨/ص ٢٥١.
- (٨٢). التلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ج ١/ص ٨٧.
- (٨٣). البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص ٨٩.
- (٨٤). القالي، كتاب الامالي، ج ٢/ص ١٥٧.
- (٨٥). ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٨.
- (٨٦). الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧/ص ١٨٣.
- (٨٧). المصدر نفسه، ج ١٧/ص ١٨٥؛ د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٨/ص ١١٦.
- (٨٨). الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١/ص ١٨٥.
- (٨٩). القالي، كتاب الأمالي، ج ٢/ص ١٤٣.
- (٩٠). القالي، المصدر نفسه، ج ٣/ص ٣٧.

- (٩١). المصدر نفسه، ج ٢/ص ٢٢٥.
- (٩٢). ديوان أمرؤ القيس، ص ١١٣.
- (٩٣). ابن قتيبة، المرجع نفسه، ج ٢/ص ٩.
- (٩٤). القالي، كتاب الأمالي، ج ١/ص ٢١٤ ؛ الأصفهاني، الأغاني ج ١٧/ص ٣٦٦.
- (٩٥). المصدر نفسه، ج ٣/ص ٢٧٤.
- (٩٦). المصدر نفسه، ج ٣/ص ٢٧.
- (٩٧). ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٢/ص ١٤٤.
- (٩٨). الأصفهاني، الأغاني، ج ١٤/ص ٧٧.
- (٩٩). المصدر نفسه، ج ٣/ص ٩٥.
- (١٠٠). البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥/ص ٢٢٧.
- (١٠١). الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١/ص ٥٠٨.
- (١٠٢). اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١/ص ٢٤٠.
- (١٠٣). عكاظ: هو موقع لسوق يقع بين نخلة والطائف الى بلد يقال له الفتق، والمسافة بينه وبين الطائف عشرة أميال، أي ليلة واحدة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقام سوق العرب بالاثداء، ويُعد سوق عكاظ تاريخاً لكل الأسواق وفيه تقام الكثير من أنشطة العرب التجارية والثقافية والاجتماعية والسياسية. للمزيد ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/ص ١٠١ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م، ج ١/ص ٥٩٠ ؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال، ص ١٥٤ ؛ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص ٩٥٩ ؛ الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، ص ٢٨٥.
- (١٠٤). الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١/ص ٢٠٠.
- (١٠٥). ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٧/ص ٩١.
- (١٠٦). البغدادي، المنمق في أخبار قريش، ص ٩١.
- (١٠٧). ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقل)، والرقل بمعنى: التعظيم والمكانة.
- (١٠٨). وكيع، أخبار القضاة، ج ٣/ص ٢٦.
- (١٠٩). د.جواد علي، المفصل، ج ٤/ص ٥٥٩.
- (١١٠). ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١/ص ٤٤.
- (١١١). الأصمعي، تاريخ ملوك العرب الأولية، ص ١٧، والعدد المحدد من قبل الأصمعي هو ألف فارس، المصدر نفسه، ص ٢١.
- (١١٢). ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦/ص ٨٧ ؛ القالي، كتاب الأمالي، ج ١/ص ٢٤.
- (١١٣). أبو عبيدة، كتاب النقائض نقائض جرير والفرزدق، ج ١/ص ٦٦.
- (١١٤). الصغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر، ص ٢٠٦، ص ٢٠٨ (حرف الفاء)؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٦١ ؛ درادكة، بحوث في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٦٩.
- (١١٥). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٤/ص ١٨٤.
- (١١٦). الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج ١٨/ص ٨٢.
- (١١٧). الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٤/ص ١٨٤.
- (١١٨). المصدر نفسه، ج ٤/ص ٢٠٤.

مصادر البحث ومصادره

أولاً: المصادر العربية الأصيلة:

- ١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥م).
- ٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
- مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د/ت).
- ٣- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).
- الطبقات الكبرى، تحقيق: سهيل كيالي، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٤م).
- ٤- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).
- ٥- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
- بهجة المجالس وأنس الجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسى الخولي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨١م).
- ٦- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).
- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت، د/ت).
- ٧- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
- عيون الأخبار، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٥م).
- المعارف، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- ٨- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م).
- جمهرة النسب، تحقيق د. ناجي حسن، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٦م).
- ٩- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م.
- ١٠- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م).
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقاء، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الخير، (د.ك، ١٩٩٢م).
- ١١- أبو عبيدة، معمر بن التيمي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٣١م).
- أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة، (بيروت، ١٩٨٧م).
- ١٢- أبو عبيدة، معمر بن التيمي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م).
- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، مطبعة بريل، (الدين، ١٩٠٥م).
- ١٣- الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م).
- المستطرف في كل فن مستظرف، اشراف المكتب العلمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٩٤م).
- ١٤- الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٨م).
- تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٧٩م).
- ١٥- الأشبيلي، أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م).
- مختصر العين، تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي، سلسلة دار التراث، (بغداد، ١٩٩١م).
- ١٦- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).
- الأغاني، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، وسمير يوسف جابر، مكتبة دار الباز، مكة، (١٩٩٢م).
- ١٧- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م).
- تاريخ ملوك العرب الأولية، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، المكتبة العلمية، (بغداد، د/ت).
- ١٨- الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م).
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).
- ١٩- البستاني، أبو حاتم محمد بن حيان (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق الحافظ السيد عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت، ١٩٨٧م).

- ٢٠- البغدادي، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م).
- المنمق في أخبار قریش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٥ م).
- ٢١- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٤٩م).
- ٢٢- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
- أنساب الأشراف، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار النشر، فرانتس شتاير، (شتوتكارت، ١٩٩٦م).
- ٢٣- التلمساني، محمد بن أبي بكر بن عبد الله (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م).
- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق محمد التونجي، دار الرفاعي النشر والطباعة والتوزيع، (الرياض، ١٩٨٣م).
- ٢٤- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م).
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م).
- ٢٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).
٢٦- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨٢م).
- ٢٧- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).
- ٢٨- كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٦٩م).
- ٢٩- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م).
- ٣٠- الزبيدي، مجد الدين أبو الفيض محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العرباوي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د/ت).
- ٣١- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م).
- الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة السعدون، ١٩٦٨م.
- ٣٢- الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م).
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨١م).
- ٣٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩١م).
- ٣٤- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).
- كتاب الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د/ت).
- ٣٥- المخصص، ٥ مجلد، دار الفكر، (بيروت، د.ت).
- ٣٦- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٤٩م).
- ٣٧- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م).
- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٩م).
- ٣٨- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/ ٩٢٨م).
- أخبار القضاة، بيروت، عالم الكتب، د/ت.
- ٣٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).
- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م).

ثانياً: الدواوين الشعرية:

- ٤٠- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس ت ٦٢٩هـ، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، د/ت.
 ٤١- ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٩٤م).
 ٤٢- ديوان أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، تحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي، سلسلة دار إحياء التراث، (د.ك، ١٩٩١م).
 ٤٣- ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨٠م).
 ٤٤- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلام الشنتمري، تحقيق: دريه الخطيب، لطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، (دمشق، ١٩٧٥م).

ثالثاً: المراجع الثانوية الحديثة (العربية والمعرية):

- ٤٥- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (دمشق، ١٩٦٠م).
 ٤٦- د.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٨م).
 ٤٧- درادكة، صالح موسى، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين، (عمان، ١٩٩٨م).
 ٤٨- سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، ١٩٩٧م).
 ٤٩- العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، الدول العربية قبل الإسلام، ط ١، (بغداد، ١٩٥٤م).
 ٥٠- لامانس، سيد القوم ودوره في مجتمع الجاهلية، من ترجمة؟ مجلة المشرق، السنة ١٩٣٢، العدد ٢، (بيروت، ١٩٣٢م).

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية

- 51- Ghul, Mahmud Ali, Arabien Languages and classical Arabic sources, Edited by omar Al Gahul, irbid, 1993.
 52- Glaser, zwei Inschriften über den dammbruch von marib, 1897.

Abstract

This study involves "Sovereignty of the Arabs before Islam and its Effect in Establishing and Consolidation its Social Standing among the Arabic Tribes in Peninsula".

The Arabic person paid too much attention to sovereignty both with regard to his tribe and other tribes; this had confirmed and established his social standing. He never hesitated to sacrifice himself, and his properties to win and keep his sovereignty. He even sacrificed his standing to achieve sovereignty.

The subject-matter focuses on the concept of sovereignty linguistically and idiomatically, in addition to the characteristics required to win sovereignty, factors of achieving sovereignty, whether empowered by money or courage; or through family origin (parentage), or the degree of acquired knowledge, or nobility of character.

Then, the study deals with the way and circumstances that helped the Arabic person gain sovereignty through scarifying the self for the boss of the tribe, or acquiring good reputation, or competition with others, the opinion of the tribe of the, or through imposing power.

The study also deals with the tribal affairs, which are considered the things that hinders applying sovereignty by the Arabic person.

The study depends on original references, and on secondary Arabic modern ones, i.e. Al-Aghany to Abu Faraj Al-Asfahany, Al-Seerah Al-Nabawiyah to Ibn Husham, Al-Iqd Al-Fareed to Ibn Abd Rabbih, Al-Mufasssal to Jwad Ali, Aswaq el-Arab to Sa'eed Al-Afghany, Dirasat fee tareekh el Arab to Abdulazeez Salim, as well as some divans (poetic collections).

The conclusion deals with the significant results which the researcher has reached.